

أنيس منصور

يوم بيوم

اقرأ

تصدر أول كل شهر

[٣٢٢] يناير - ١٩٧٩

رئيس التحرير أنيس منصور

أنيس منصور

يوم بيوم

الطبعة الثانية



دار المعارف

اقرأ ٣٣٢ يناير سنة ١٩٧٩

الناشر : دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج. م. ع.

أو هكذا أتمنى !

رائع مايراه الشعراء . .

سماوى مايراه القديسون . .

مروع مايراه المعذبون . .

وأنا مفتون بالجميع . وبالطبيعة . ولذلك ألتقط البذرة والورقة والثمرة واللمحة والنغمة ، ثم يتفجر إحساسى بها جميعاً ، امتناناً لحكمة الحياة ، وسر الكون . فأتذوق وأستمتع وأتوجع وألعن وأرفض وأسخط وأثور ، على كل مايقع فى يدى وفى عينى ومن عينى أيضاً .

إننى أفعل ماتؤديه الكائنات الأخرى الصغيرة فى تواضع شديد . ماتفعله الفراشة والنحل ، طائرات دائرات راجعات ، تقبل كل زهرة وتمتص وتفرز إلى الأبد . . وهى جميعا — ونحن معها — تساهم فى الكوروس اللانهائى لملايين المخلوقات التى تلمس إرادة الله وتنحنى لكل ماهو جميل ؛ ولكل ماله معنى وهدف . .

ولكن التواضع غريزة الحيوانات ، ورذيلة الإنسان . . وليس من خصائص المفكر أو الفنان . .

فالفنان يريد أن يفعل شيئاً ، أو يتوهم ذلك . . يريد أن يجعل لكل مايفعله معنى ، أو يتوهى ذلك . .

فهو فلاح فى كل أرض ، وربان لكل بحر ، وطيار لكل جو ، وشاهد على كل حكمة أرضية أوسماوية فى كل عصر . .

وهو بذلك يتحدى الطبيعة .

إنه يريد أن يصعد الجبال ويهبطها إلى الأبد ، حتى لو لم يكن لما يفعله أى هدف سوى التحدى — كما فعل البطل الإغريقى سيزيف .

أو يقف في الماء العذب ولا يذوقه .. ويحاول ويفشل ولكن رغبته لا تنطفئ . وهو يعلم أنه لا أمل . ولكنه يتحدى - كما فعل البطل الإغريقي تنتالوس . .

أو يحرث الأرض ويبذرها بالملح . وهو يعلم أن الملح مقبرة البذور وهو يعلم أن الفاكهة لا تنبت من الملح . يحاول أن يضيف مرارة الملح إلى حلاوة الفاكهة . أن يضيف مرارة الواقع إلى حلاوة الوهم - منتهى الجنون أو منتهى الحكمة أيضا - ولكنه لا يتوقف كما فعل البطل الإغريقي عوليس . .

أو ينتشى بجمال الحياة والطبيعة والفن وينسى كل شيء - كما فعل بنا البطل الإغريقي أورفيوس . . .

إن الإنسان هو الذى ، إذا قامت القيامة ، راح يغرس شجرة . وهو يعلم أن عصفوراً واحداً لن يتأرجح على أغصانها ، وأن إنساناً واحداً لن يسترخي في ظلها . ولكنها إرادة التحدى . . هى التى تجعل الإنسان يزرع الحياة في وجه الموت ، يلوح بالأمل في أهوال اليأس . . والتحدى هو الذى يجعله يخطف صفة الفلاح في يوم انسحبت فيه الصفات من الجميع . ويجعله يضيف كلمة بعد أن وضعت نقطة نهاية السطر في نهاية كتاب الوجود . .

ولست إلى هذه الدرجة متفائلا أو متشائماً . .

وإنما أنا إنسان مهموم بالآخرين وبنفسى . . وعندى آراء في أشياء ، بعض الآراء في بعض الأشياء ، بعض الوقت !

. . أو هكذا أتوهم . في هذه الصفحات !

أنيس منصور

عذاب آدم

بعد خطيئة آدم وحواء كانت عقوبتهما أولا : أن ينزلا من السماء إلى الأرض . وثانيا : أن يعمل آدم وتلد حواء !

فآدم يموت إذا لم يعمل ، ويموت إذا عمل .

وكل حياته هى عمل ، وبحث عن فرص للعمل ، وتنظيم للعمل ، وبيع لنتائج العمل ، ومحاربة لمن يستغل عمله ، وراحة من العمل . وإذا عمل آدم تعذب ، وإذا لم يعمل فإنه يذبل ويختنق ويموت . فآدم يشكو من الحياة ، ومتاعب الحياة ، ولكنه لا يفكر فى أن يقف عن التنفس ، ولا يتوقف عن صنع الأدوات التى يعيش بها .

وعذاب حواء هو أن تحمل وتلد وترضع أطفالها وترعاهم . وقبل الحمل والولادة عذاب آخر : هو اختيار الرجل الذى يصبح أباً لأطفالها ، وحامياً وراعياً لهذه الأسرة الصغيرة . ولم تعرف المرأة معنى (اختيار) الرجل إلا أخيراً جداً ، فى حين عرفت الحيوانات والحشرات معنى الاختيار بالغريزة . فالنحلة تختار أقوى ذكور الخلية ليكون أباً للألوف من صغار النحل . والحيوانات عرفت أنسب الذكور . أما المرأة فلأنها حيوان اجتماعى ، ولأن الأسرة هى خلية المجتمع ، فقد كانت الأسرة هى التى تفرض عليها الرجل المناسب . فالأسرة هى التى تملك القدرة على الاختيار . ولكن لما تعلمت المرأة عرفت وآمنت بأن أساس الحياة هو الحرية .. هو الاختيار . فاختارت المرأة الرجل الذى تستريح إلى حبه وإلى عنايته . وتخبطت المرأة مئات السنين فى اختيار الأب

المناسب لأولادها . وعلى الرغم من أن المرأة تتعذب كثيراً فى الحمل والولادة . لأن أعظم أعمالها هو أن تأتى بمخلوق جديد . فإن هذا هو العمل الوحيد الذى تنفرد به المرأة . ولا يستطيع الرجل أن ينافسها فيه . ويظهر أن الطبيعة لا تريد الرجل ، أو ترى أنه غير ضرورى ؛ لذلك جعلت المرأة أقوى جسمياً وأقدر على التحمل ، وفى استطاعتها أن تنجب أكثر من طفل مرة واحدة .. وكان من نتيجة اشتغال الرجل أن أصبح عدد الموتى من الرجال أكثر من عدد الموتى من النساء !

ولابد أن خبث الرجل هو الذى جعله يفتح الأبواب أمام المرأة لكى تعمل ؛ أى لكى تعرف نوعاً آخر من العذاب غير الحمل والولادة . والمرأة تتعب فى عملها . تتعب لأنه عمل ، وتتعب لأنه يشكك فى قدرتها على أن تتساوى مع الرجل . وتتعب لأنه يبعدها عن البيت وعن الزوجية . إن اشتغال المرأة يبدد (الهالة) التى يعيش فيها الرجل كإنسان عامل .. ولكن من المؤكد أن العذاب الحقيقى للرجل العامل ، هو أن نتيجة عمله ، الفلوس ، تبددها المرأة بسهولة .. فليس العذاب فقط أن يعمل الرجل ، ولكن العذاب أن (تلعب) المرأة بعمل الرجل !



يجب أن يعيش

لابد أن الفراعنة آمنوا بنظرية تقول : إن السيارة يجب أن تكون جاهزة . . كل عددها سليمة . وبها بنزين وماء وزيت ورخصة قيادة . فإذا جاء صاحبها تسلل إليها . وفى لحظات تنطلق !

ولهذا السبب اهتم الفراعنة بجثمان الميت ، فهم يدفنون الميت فى مكان جاف . ويحنطون الجثة . أى يحرصون عليها حتى لا تتعفن ، ويضعون إلى جوارها طعام الميت وكل ثروته .. ويضعون خطابات التوصية بأنه إنسان طيب ، وأنه كان محبًّا لوالديه وأهله — أى ترخيص الحياة الجديدة !

ولكن الطب على مر العصور أثبت أنه لا يمكن الاحتفاظ بجسم الميت سليما ، وأنه ليس من الضرورى أن يكون للإنسان جسم لكى تعود إليه الحياة بعد الموت ، فالروح تكفى .. والله قادر على أن يعيد لكل روح جسمها .

وإذا كنا لا نحنط الأجسام الآن ؛ فلأن الجسم ليس ضروريًّا للحياة بعد ذلك ..

بل ليس ضروريًّا أيضاً أن نهتم كل هذا الاهتمام بالموت والموتى .. فالموت نهاية نتوقعها جميعاً ، ولا مفر منه . وما دمنا جميعاً سوف نموت ، فلماذا نتصرف كأننا موتى .. لماذا نتصرف كأننا محكوم علينا بالإعدام . يجب أن نعيش . والذى يموت أخذ نصيبه من الحياة . فلماذا يأخذ نصيبنا نحن أيضاً. لقد هانت فكرة الموت عند الناس . فالحروب قد أكلت الملايين ، وحوادث المواصلات وحوادث المستشفيات كلها تقضى على حياة الملايين .

فالموت ليس شيئاً غريباً . إنه شيء مخيف ولكنه مألوف .

وبرغم اهتمام الناس بالموتى . فإن هذا الاهتمام قد تناقص في كل الدنيا .. إن أهل الفقيد يكتفون بخبر عن وفاته . ويكتفون بتشييع الجنازة . ولا عزاء للسيدات . وبإحياء ذكراه مرة كل عام ، ثم يستأنف كل إنسان حياته من جديد . إن مقتل كنيدى لم يمنع أحد القساوسة من أن يلمس بيديه أرملة الفقيد . ومذكرات جاكلين كنيدى تقول إنها رأت الجنس فى عينى رجل الدين !

إن مسرحية « تينيسى وليامز » الجديدة التى اسمها « مملكة الأرض » تعرض علينا أن أخاً يموت أمام عين أخيه .. وأخوه يرفض إنقاذه ، ولكنه مشغول بمعاكسة أرملته ، ومشغول أيضاً بالثروة التى سوف يملكها .. وعندما مات الأخ كانت أرملته تمزق وثيقة الزواج فى أحضان أخيه .. وزوجها الجديد .. إنها صورة قاسية ولكنها الحقيقة أيضاً !

والناس حين يفكرون فى الموت ، يفكرون فى أنفسهم . يريدون من الأحياء أن يذكروهم أيضاً ويترحموا عليهم . . ولكننا ركاب قطار : نطلع وننزل ونتساقط .. ولا يتوقف القطار !



مجرد جهاز تسجيل

نحن الآن فى عصر الانقلاب الصناعى الثانى . .

أما الانقلاب الصناعي الأول فقد كان فى القرن ١٨ عندما اخترع الإنسان الآلة البخارية التى وفرت مجهوده العضلى . والتى قربت المسافات على الأرض وفى البحر .. أهم من هذا كله أن هذه الآلة البخارية قد ضاعفت الإنتاج وأدت إلى تعطيل الأيدى العاملة !

والعصر الذى نعيش فيه هو عصر « العقل الإلكترونى » . أى العقل الذى ينقل إليه الإنسان جزءاً من معلوماته العقلية . ويتركها هناك تحت أمر من يريدها . والعقل الإلكترونى يضم خلاصة ما فى عقول ملايين الناس فى كل فروع المعرفة الإنسانية : فى العلم والفن والأدب والدين والفلسفة والتاريخ ..

وإذا كان الله قد خلق الإنسان على صورته . أى عاقلا روحياً . فإن الإنسان قد خلق العقل الإلكترونى على صورته هو . أى مادياً حديدياً .

وعن طريق دراسة الإنسان لأعصابه هو وأعصاب الكثير من الحيوانات مثل الضفادع والقرود . عرف الإنسان سر تكوين الأعصاب وسر تكوين قدرتها على الاحتفاظ بالمعلومات . وكيف تدخل المعلومات إلى أعصاب الإنسان . وكيف يتم تنظيمها . ثم كيف يتم اختزانها . ثم كيف يمكن استدعاؤها فى أى وقت ..

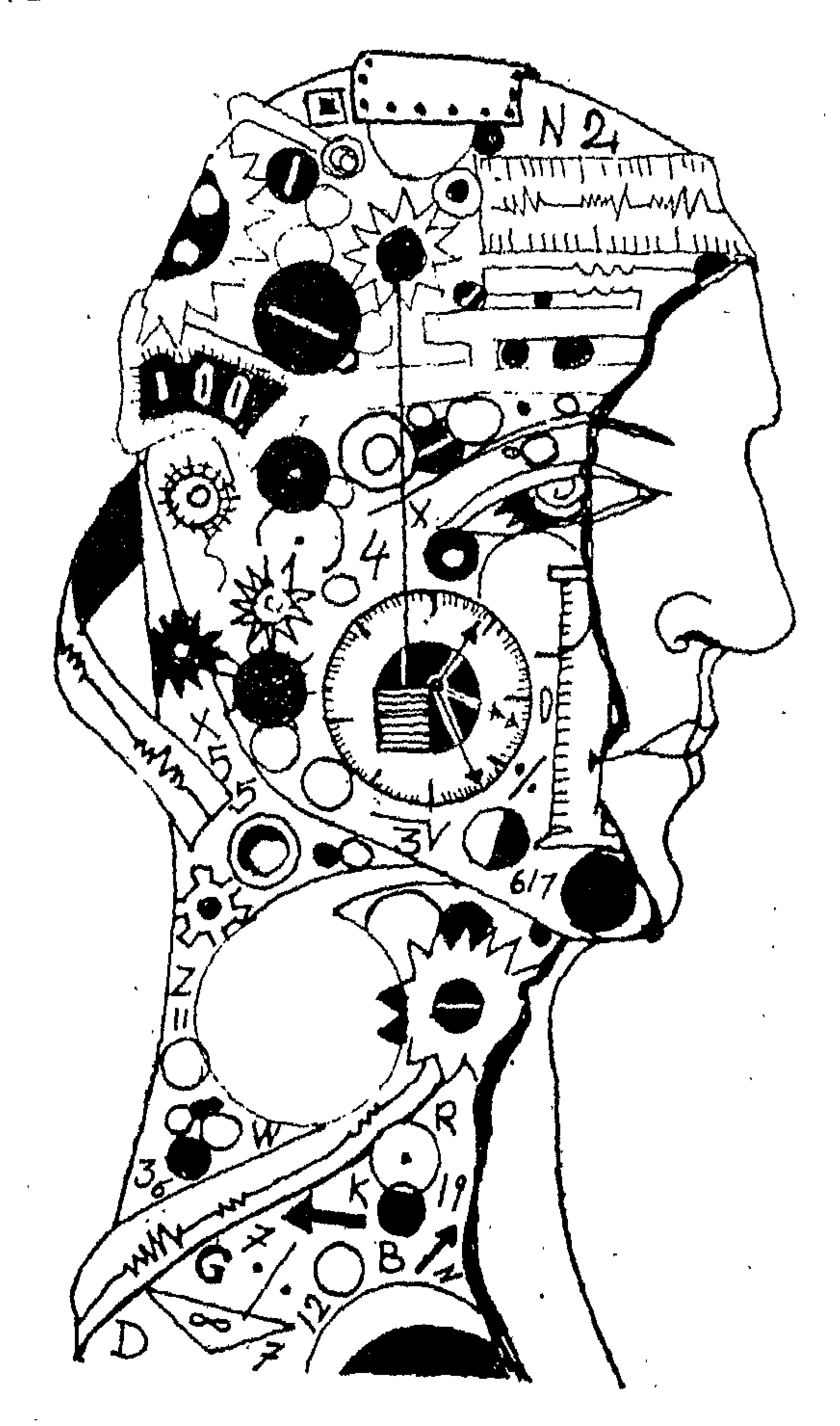
ولاشك أن اتساع مجالات العلم قد جعل من الصعب على أى إنسان أن يعرف كل شىء عن أى شىء . ومن المستحيل طبعاً أن يعرف

الإنسان كل شيء عن كل شيء . فالتخصص فى العلم جعل عالم الكيمياء لا يعرف شيئاً آخر غير الكيمياء ، وعالم التاريخ يتخصص فقط فى التاريخ . وهذا التخصص جعل العلماء يشعرون بالغربة أو الجهل إذا تعرضوا لمجالات أخرى غير مجالاتهم .. فهم كالذى لا يعرف إلا لغة واحدة . فإذا سافر إلى بقية بلاد العالم فإنه لا يعرف التفاهم مع أحد .. ولذلك كان لابد من البحث عن طريقة سهلة لتوصيل المعلومات إلى العلماء فى كل المجالات . فالعالم الذى يدرس الأسماك فى حاجة إلى معرفة جاذبية الأرض ، والأشعة الكونية ، وملوحة الماء وتقلبات الجو . وهو لا يستطيع أن يلم بكل هذه الأشياء ، وهنا فقط يمكن أن يتدخل العقل الإلكترونى : أى ذلك الجهاز الذى سجل عليه العلماء معلوماتهم فى كل شيء على أشرطة مغناطيسية . وعلموه أيضاً كيف يجمع المعلومات ، وكيف ينظمها ، وكيف يصونها ، وكيف يقدمها لمن يضغط على زر .

ولم يعد الإنسان فى هذا العصر فى حاجة إلى أن يسهر طول الليل يتابع الأقمار الصناعية ، ويغير مداراتها ، ويصحح أخطاءها . إنه يترك هذه العمليات الفلكية الشديدة التعقيد للعقول الإلكترونية . أى العقول التى خلقها الإنسان .

إن الإنسان قد جعل الآلة صورة منه .. جعل عدسات المراصد بدلا من عينيه . وجعل الصواريخ بدلا من ساقيه ؛ وجعل الرادار بديلا عن أذنيه .. وهذه العقول الإلكترونية تنوب عن عقله .. ولكن هذه العقول لا تستطيع أن تفكر وتبدع .. إنها فقط (تعيد) ما أعطيناها .. وهى عاجزة عن خلق عقل إنسانى ! ..

والعقل الإلكترونى دليل على عبقرية الإنسان ، والعقل الإنسانى دليل على عظمة الله !



العقل الإلكترونى مجرد جهاز تسجيل

الفنان المغامر

روبنز : الفنان الهولندى ، الذى سرقت لوحته من معرض سراى الجزيرة ، كان من أشهر جواسيس ومغامرى القرن السادس عشر ، وكان تاجراً ، وكان فاجراً أيضاً .

وقد صاحبته الفضائح والسرقات طوال عمره . لما ولد كان بعد فضيحة وقع فيها أبوه ، فقد كان أبوه من رجال القانون ، وكان على صلة غرامية بإحدى الأميرات . ولما سافر زوج الأميرة فى إحدى المعارك العسكرية ، ترك الأميرة فى أحضان الدكتور روبنز . وتحدث الناس . ولكن حديث الناس لم يصل إلى أذن الأمير .. ولما عاد فوجئ بأن الدكتور روبنز يقبل الأميرة ، فألقى به فى السجن . ومن السجن بعث الدكتور روبنز باعتذار غريب يقول فيه : إن العار الذى لحق بسموك كان من الممكن أن يكون أقسى من ذلك ، فقد كان من الممكن أن تجد زوجتك فى أحضان رجل جزار !

وقرر الأمير نفى هذا الرجل الوقح . وبعد ذلك بسنة ولد الفنان روبنز فى المنفى ، ومات أبوه ، وقد ورث الفنان كل صفات أبيه ... فأجاد الرسم ، وأجاد تقبيل النساء أيضاً . وكان رساماً تاجراً . كان يبيع لوحاته . وكان يترك لوحاته لتلاميذه الصغار يرسمونها .. وقبل أن ينتهوا من هذه اللوحات يمد فرشاته يصلح منها ، وبسرعة وأستاذية تصبح اللوحة عملا فنياً رائعاً .

وعن طريق النساء اشتغل بالسياسة ، فى السلك الدبلوماسى .. وحمل لوحاته وفرشاته إلى قصر الملوك يرسم ويسمع ، ويجمع ثمن

اللوحات . وينقل ما سمع ويبيعه فى قصور أخرى . وحاول أن يصلح ما بين قصور فرنسا وإسبانيا وإنجلترا .

وفى أول زيارة لفرنسا ، تقدم إلى الملكة ، وبدلا من أن يقبل يدها ، اقترب أكثر ليقبل خدها ، ثم تردد بين رأسها وشفتيها واختار شفتيها .. وكانت فضيحة كبرى .

وربما كان الشيء الوحيد الذى يذكره له التاريخ هو عبقريته فى اختيار الألوان .. ولكن الشيء الذى يبقى له من الناحية الإنسانية هو أنه رسم لوحة للحرب . جعل فيها الحرب شيئاً بشعاً . وكان يريد بذلك أن يوقف الاستعداد للحرب عند أحد الملوك . ونجح روبنز .

وعندما تزوج للمرة الثانية رسم زوجته فى كل الأوضاع المحترمة والفاضحة . وفى إحدى المرات حاولت زوجته أن تقبله عندما رأت نفسها جميلة فى إحدى لوحاته . فرفض قائلا : أنا أرسمك فقط !

وفى الأيام الأخيرة كان عاجزاً عن الحركة ، فقد اشتد عليه مرض النقرس ، فكان يرسم واقفاً على ساق واحدة . وقبل وفاته بساعات هجم أحد اللصوص على البيت ليسرق لوحاته ، فحاول أن يمسكه فسقط على الأرض . . ونجحت الزوجة فى القبض على اللص ..ولم يتردد الفنان روبنز فى أن يقبل زوجته ويموت !



« النواة تسند الزير »

الفأر الصغير من الممكن أن يضايق الأسد .

ووجود مسمار فى حذائك من الممكن أن يثير أعصابك . فإذا ثارت أعصابك فلست بعيداً عن الغضب . وإذا غضبت فمن الصعب أن تكون عادلا مع نفسك أو مع غيرك .. ولا يوجد إنسان لا يشعر بشيء كالمسمار فى حذائه أو ملابسه أو بيته أو عمله .. لذلك فأنت « تتعايش » مع الناس وقد أوجعتهم أشياء صغيرة .. وأشياء كبيرة أيضاً !.

وربما كانت الأشياء الصغيرة هى التى توجع أكثر ..

ولكن المشكلة التى تواجهنا هى كيف تعرف هذه الأشياء الصغيرة . فالإنسان بسبب اضطراب أعصابه لا ينظر إلى الأشياء الصغيرة وإنما يبحث عن الأشياء الكبيرة ، وهذا يضاعف متاعبه ..

وربما كانت زوجة نابليون من أذكى النساء عندما اكتشفت أن سرّ تعاستها مع زوجها بسيط جدًّا . فقد لاحظت أنها فى كل مرة تتوجه إليه بطلب يرفضه فوراً . وبدأت تتشكك فيه ، وبدأت تبحث عن نساء أخريات فى حياته . وأخيراً وجدت الشيء الصغير . فقد اكتشفت أنها فى كل مرة تتحدث إليه يكون واقفاً وتكون هى جالسة . فعكست الوضع ، وراحت تتحدث إليه وهو جالس ، أى وهو أكثر هدوءاً واسترخاء.. وكان لا يرفض لها طلباً !

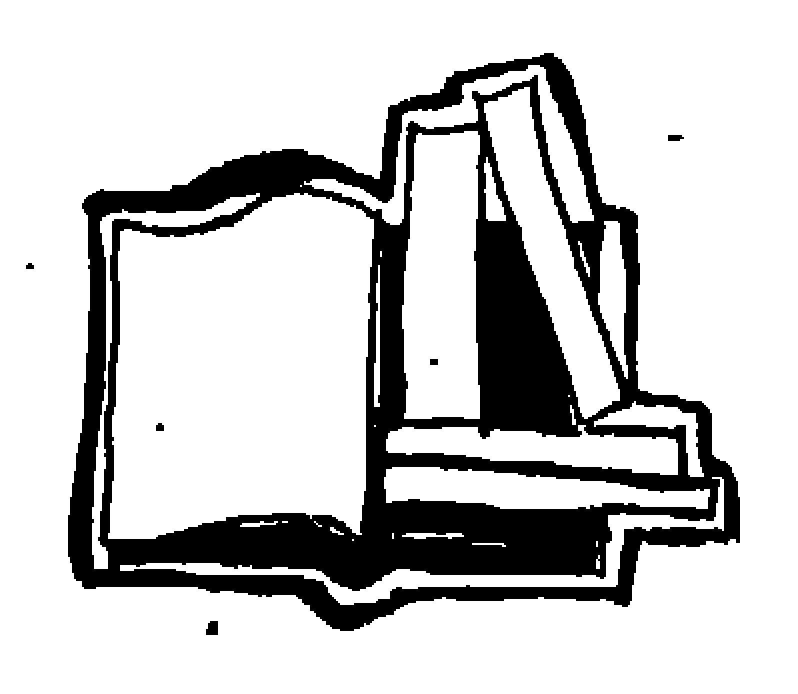
فالعلاج سهل.. لأنه شيء صغير !

والإسكندر الأكبر عندما تحداه رجال البلاط أن يركب واحداً

من الخيول المتمردة اهتدى إلى شيء صغير جداً . فقد لاحظ أن هذا الحصان يخاف من « خياله » . . يخاف من ظله . فكل الذين ركبوا الحصان كانوا ينطلقون فى عكس اتجاه الشمس ، فكانت الشمس تجعل له ظلا أمامه .. وكان يخاف منه : فجاء الإسكندر وركب الحصان فى مواجهة الشمس .. فاختفى الظل .. وأتعبت الشمس عينى الحصان فكان أكثر استسلاماً ..

والمثل الشعبى الذى يقول : إن « النواة تسند الزير » معناه أن الشيءالصغير يسند الشيء الكبير .. ومعناه أيضاً أن هذا الشيءالصغير إذا نزعناه من تحت الزير : فإن الزير يسقط !

إنها إذن بعض الأشياء الصغيرة التى تدحرجنا إلى المصائبالكبيرة !



الأهرامات تحل مشكلة الفراغ

هذه نظرية جديدة فى تفسير بناء الأهرام فى مصر الفرعونية . فمن المعروف لنا جميعاً أن الأهرام مقابر للملوك . وكان الملوك آلهة . فهى مقابر لآلهة مصر .

والشعب المصرى عندما أقام هذه الأهرامات كان عمله هذا نوعاً من الصلاة .. وحتى إذا مات أحد الفلاحين تحت هذه الكتل الصخرية كان موته فى سبيل الله .. ولابد أنه مات شهيداً !

وقيل أيضاً إن بناء الأهرام أكبر دليل على استعباد الملوك لرعاياهم فقد استخدم الملوك ألوف الفلاحين فى بناء هذه المقابر الفخمة الضخمة

وهذه الأهرامات هى أظهر وأقسى دليل على الظلم الذى كان فى مصر الفرعونية .. وعلى أن الملوك قد أماتوا ألوف الفلاحين من أجل الاحتفاظ بجثة شخص واحد فى قلب الهرم !

ومنذ أكثر من عام اهتدى الدكتور كورت مندلسون إلى تفسير جديد نشرته جريدة « هيرالد تربيون » الأمريكية . فقد لاحظ أن المؤرخ هيرودوت عندما جاء إلى مصر لأغراض سياحية ، أخبره الكهنة أن الهرم الأكبر تم بناؤه فى عشرين عاماً . فقد كان مائة ألف عامل يشتغلون فى بنائه ثلاثة أشهر من كل سنة ! وكان ذلك سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد .

ومن الملاحظ تاريخياً أنه فى فترة بناء الأهرام كان يسود مصر هدوء نسبى بعد الحروب التى دامت طويلا بين الوجهين البحرى

والقبلي . فلما تم توحيد الوجهين ، وانتظمت الإدارة الحكومية ، وانتظم الرى ، وأصبحت الأراضي المصرية تتغطى بمياه الفيضان ثلاثة أشهر كل سنة ، كان من السهل على الحكومة المركزية تشغيل العمال وإطعامهم من مخازن الغلال الملكية . وقد اهتدى الملوك إلى أنه من الأفضل للأمن العام والاستقرار تشغيل هذا العدد الهائل من الفلاحين فى أيام الفيضان ..

ويقول الدكتور مندلسون : إن مشكلة أوقات الفراغ من أهم ما تعانيه الدول الحديثة المتقدمة ، فالعامل الآن يستريح يوماً ونصف يوم فى الأسبوع .. وأحياناً يومين ، وسوف يستريح ثلاثة أيام فى المستقبل وحينئذ يصبح الفراغ مشكلة خطيرة !

ولذلك فبناء الهرم الأكبر كان علاجاً علمياً لمشكلة اجتماعية . هذه المشكلة جاءت نتيجة حتمية لانتقال المجتمع المصرى من القرية إلى المدينة .. ومن نظام القبلية إلى نظام الدولة .



حب وكوارث

إنه — إذن — الحب الأعمى .. الذى أدى به إلى هذه الكوارث الاقتصادية ..

فيقال إن رجلا من المهاجرين إلى أستراليا كان يحب الأرانب لدرجة أنه كان يضعها فى غرفة نومه . وقد استطاع أن يعلم بعض هذه الأرانب أن تقفز إلى المائدة فى أثناء الطعام . ويقال إنه أطلق على نفسه اسم أرنب .. هذا الرجل أحضر معه إلى أستراليا عدداً من الأرانب سنة ١٨٥٩ .

وبعد وفاته تكاثرت الأرانب لدرجة أنها استطاعت أن تقضى على كل المحصولات الزراعية .. فلم يبق للحيوانات الأخرى طعام تأكله . وحاولت أستراليا أن تقاوم الأرانب بالقطط فتكاثرت القطط حتى كانت تفتك بالطيور .. ثم قاوموا هذه الحيوانات التى جاءت للزينة بكثير من المبيدات . ومات الملايين منها . ولكن بقيت بعد ذلك سلالات تقاوم المبيدات !

وقد أقام أبناء أستراليا سوراً طوله ١١٤٠ ميلا لمنع الأرانب من دخول الحقول والبيوت والحدائق !

ويقال إن رجلا آخر كان مغرماً بأشجار الصبار .. وكان يزرعها فى حديقته للزينة . وتكاثر الصبار فى أستراليا لدرجة أنه يغطى الآن ألوف الأميال . وقد حاولت أستراليا أن تأتى له بحشرة تقضى عليه ، فما كان من هذه الحشرة إلا أن تكيفت معه .. وعاشت عليه !

ويقال إن أحد الأتراك أعجبه منظر شجر الخشخاش .. وأعجبه

لون زهرتها .. فزرعها فى حديقته .. وانتشر الخشخاش : وهو الينبوع الأول للأفيون : فى الشرق الأوسط .. وفى العالم كله !

وأحد الإنجليز قد جاء إلى مصر وزرع فى حديقته أيضا نباتاً يطفو على الماء : ورد النيل . هذا النبات قد تحول بسرعة إلى وحش يشرب الماء وينمو بسرعة .. ويخنق الترع ويقتل النباتات . وهو خطر حقيقى على القنوات والترع والنيل من المصب إلى المنبع !

مثل هؤلاء الهواة . أصحاب الحب الأعمى . يستحقون ضرب الرصاص من شعوبهم ومنا . وإن كنا ندين بالامتنان للرجل الذى أحضر شجيرات القطن وزرعها فى حديقته .. للزينة ! وانتشر قطن الزينة وأصبح عصب الاقتصاد القومى فى مصر وغيرها من البلاد . وقد حاول هذا الرجل أن يمنع الناس من زراعة هذه الشجرة التى يخرج منها « صوف أبيض » .. ولكنه لم يستطع طبعاً .

ونحن ندخر أعظم وأفخر أنواع الامتنان لكل من يأتى بشجرة للزينة إذا زرعناها مع شجيرات القطن تقضى على الوحش الذى اسمه دودة القطن !



إنسان آخر فيك

أنت لا تعرف بالضبط ما الذي يمكن أن يخرج منك إذا تدربت على نوع معين من الرياضة . إن التدريب يخلق منك إنساناً آخر . هذا الإنسان الآخر موجود فى داخلك وأنت لا تعرفه ..

مثلا : .. مثلا .. إذا طاردك كلب فإنك تهرب منه وتقفز من فوق قناة عريضة .

هذه القناة لا تستطيع أن تجتازها فى أى ظروف عادية ، فما الذي حدث ؟

إن إثارة عصبية قد منحتك هذه المقدرة المفاجئة .

إن بعض الناس عندما تشتعل النار فى بيوتهم تكون لديهم شجاعة خارقة .

إن رجلا استطاع أن يقتحم النيران . وأن ينقذ إحدى بناته ؛ وقد نجت ابنته لأنه قفز من عشرة أمتار . فمن أين جاءته هذه القوة ؟ إنها قوة كامنة فى جسمه .

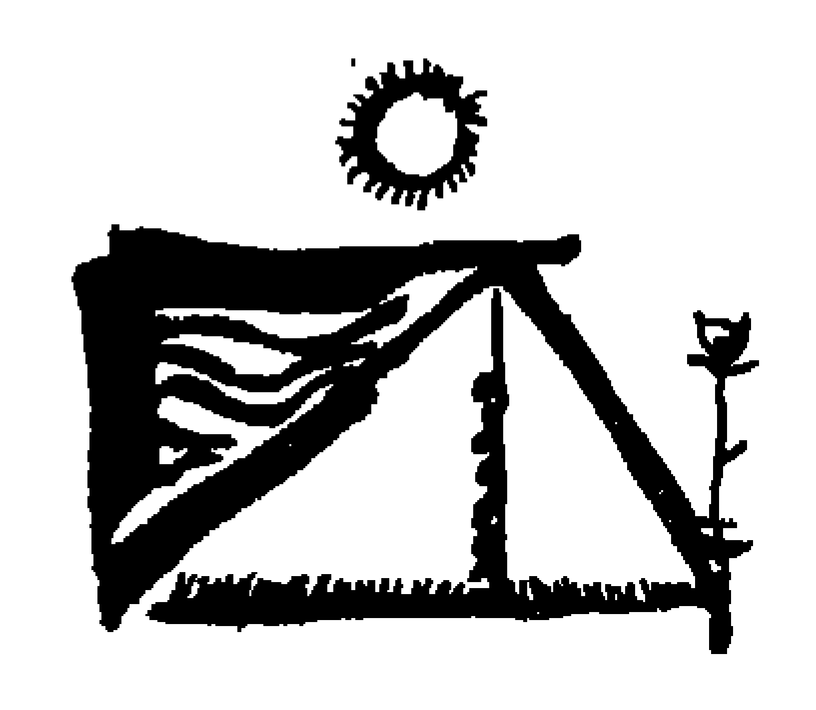
إن الذين رأوا المصابين بمرض «الأموك» المعروف فى آسيا يلاحظون أنهم يجرون بسرعة تفوق سرعة الخيول فى بعض الأحيان .. إن هذا المرض قد وهبهم طاقات نادرة ؛ كما أن الذين ينامون مغناطيسياً يتصلبون كأنهم ألواح خشبية . وفى استطاعتهم أن يناموا على كرسيين متباعدين ولفترة طويلة يعجز عنها أكثر الرياضيين قوة . وكذلك المصابون بمرض الكاتلتونيا فمن أين جاءتهم هذه الصلابة إنها خرجت من أجسامهم . لقد أثبت التحليل الطبى أن عظام بعض الرياضيين

فى صلابة الإسمنت المسلح ، وهؤلاء الرياضيون لا يتناولون أطعمة نادرة ، وإنما ما يتناوله الناس، فمن أين جاءت هذه القوة الخراسانية؟

من أجسامهم طبعاً !

فليس فى أجسامنا قوة عضلية فقط ، وإنما فينا قدرات وطاقات نفسية لا حدود لها ، ولكننا لا نجربها ، ولكننا لا نمارسها ، لا نتيح لها الفرصة لتبرز ، فنحن أقدر على أن نتحمل أكثر مما نتصور . ونحن أقدر على أن نعمل أكثر مما نتصور .

ولسنا فى حاجة إلى كل الأطباق التى نأكلها ولسنا فى حاجة إلى الساعات التى ننامها ، فنحن نجهل أننا أقوياء .



الإخلاص ليس بديهية

سألنى : هل ترى أننى مغفل ؟

فأجبت : نعم .

وروى لى قصته بالتفصيل ، فهو عندما خرج من السجن عاد إلى البيت يدق الجرس لتطل عليه الزوجة وتقول له : اذهب إلى بيت أبيك لا حياة لك هنا ، لقد طلبت الطلاق . .

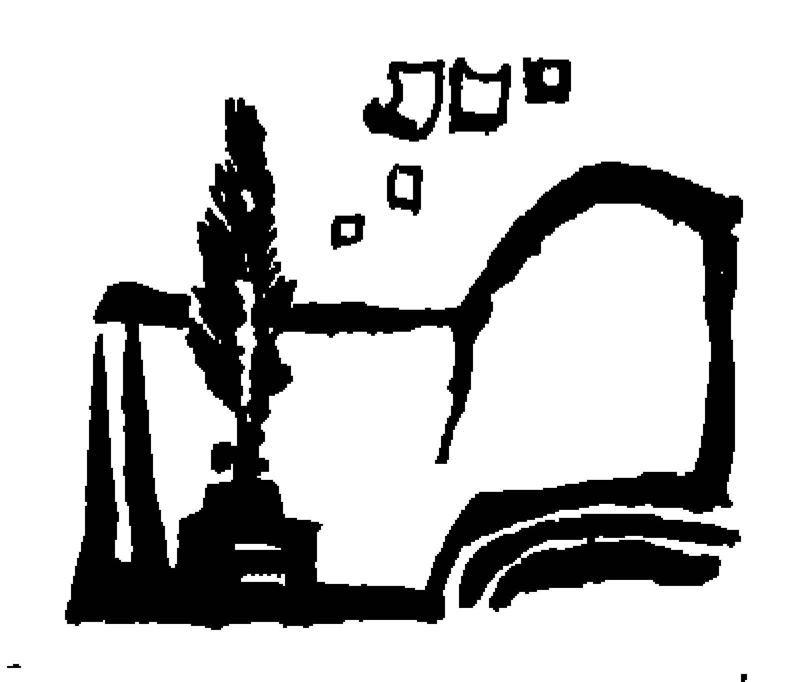
وأمام الطالع والنازل والضيوف والسكان والبواب والسفرجي والأطفال حاول الزوج أن يعرف الأسباب ، ولم تكن هناك أسباب . قال لها : فلوسى باسمك . بيوتى باسمك . شقتى التى ثمنها عشرة آلاف جنيه باسمك ، وشقتى الأخرى ثمنها عشرة آلاف جنيه باسمك . وسيارتى ثمنها ثلاثة آلاف جنيه باسمك . والذهب والمجوهرات كلها باسمك . أعطيتك رقبتى ونمت . لم أكن أتصور أنك أصبحت لرجل آخر أغنى وأقوى !

وينزل من أمام باب بيته مفضوحاً .

ويعود إلى بيت أبيه ويقول : كانت لا تعرف كيف تمسك الشوكة والسكين .. كانت لا تعرف كيف تلبس ، والآن تضع رجلا على رجل وتعرى ركبتيها فى كل مكتب ، وتلعب بأعصاب الكثير ، وتبيع أنوثتها ، وتخرب بيتها وبيوت الآخرين ، كل هذا كنت أعمى عنه . ستقول إنى مغفل . وقلت إنه بالفعل كذلك وهذا التغفيل من جانبه صفة يستحق عليها العقوبة ، فهو لم يكن مغفلا ، وإنما هو الذى أغمض عينيه وفتح يديه لجمع الفلوس من كل مكان ،

وانشغل الزوج الذى يجمع الفلوس ، وانشغلت الزوجة التى تجمع الفساتين والمجوهرات ، ويهتز صدرها وتتسع أذناها للكلمات الحلوة . ولا توجد امرأة لا تهزها كلمة حلوة خصوصاً إذا كانت هذه الكلمة لايقولها الزوج . وعندما لا تجد مثل هذه المرأة المنحلة كلاماً عند زوجها تبحث عن الكلام عند أزواج الأخريات ، ويسعدها أن تخرب بيوت الأخريات أيضاً ، تماماً كما خربت بيتها . والرجل الذى يأخذ الزواج والإخلاص فى الزواج بديهية يفاجأ بأن الإخلاص ليس بديهية ، وإنما هو اتفاقية يجب أن يؤكدها الزوج والزوجة يومياً .

وعندما امتلأت عيناه بالدموع طلب منى أن أكتب هذه المأساة ليعرف الأزواج ماذا تفعل الزوجات . قلت سأفعل ، ولكن لكى تعرف الزوجات غباوة بعض الأزواج أيضاً .



المسرح مدرسة بلا مدرس

لا يعجبنى منظر المدرس ومعه عدد من الطلبة الصغار يدخلون أحد المسارح . إن وجود المدرس يجعل هذه المسرحية نوعاً من الواجب .. نوعاً من الدرس . يجعل المتعة إجبارية ، ويجعل الهدوء فى أثناء التمثيل أمراً يقتضيه وجود المدرس . ويجعل التصفيق قاعدة من قواعد السلوك .

ويتحول المسرح والمسرحية إلى « حصة » من الحصص ، وهذا يفسد المتعة التى نريدها لكل من يتفرج على المسرح . وقد جربنا جميعاً ونحن صغار الذهاب إلى حديقة الحيوان مع مدرسينا ، وجربنا أن نلعب بحساب ، وأن نضحك بحساب ، وأن نحاسب بحساب أيضاً . وكل هذا يحد من لذتنا ومن متعتنا .

صحيح أن الطالب الصغير فى حاجة إلى من يرشده وإلى من يقول له : هكذا يجب أن تجلس ، وأن تستمع ، وأن تخفض صوتك ، وألا تتكلم بصوت مرتفع .. إلخ ..

ولكن من المؤكد أننا نريد من الطالب الصغير أن يدخل هذه التجربة وحده . أن يذهب إلى المسرح . أن يعرف كيف يكون حجز التذاكر ، وكيف تكون « الطوابير » وكيف يجلس فى مكانه . ونريده أن يتعلم من الكبار أدب الصمت وأدب التصفيق ، وأن يجعل من الكبار نموذجا طيباً له .. وأن يفعل ذلك كله بلا خوف من أحد ، وبلا ضغط من أحد ، وأن تتحقق له اللذة الفنية والمتعة العقلية بحرية كاملة ، وألا يشعر بأن المسرح ليس إلا معبداً وإلا مدرسة . .

وأنا أفضل جمهور المسرح على جمهور السينما ، لأن جمهور المسرح هو جمهور « الكلمة » وليس جمهور « الكاميرا » . وجمهور المسرح هو الجمهور القادر على أن يشترك فى التمثيل وذلك عن طريق « الاندماج » فى «الجو» المسرحى وفى «الحوادث» .. وذلك بأن يتحول إلى « طرف» فى قضية . وإلى حكم فى مباراة من نوع غريب . هذه المباراة هو فيها الكرة واللاعب والحكم والشبكة .

إننى أتمنى أن أرى مع بداية الموسم المسرحى تلامذة صغاراً يتفرجون وحدهم ، ويتعلمون بلذة ومتعة أن المسرح مكان للراحة والدراسة والعلاج والمناقشة اللذيذة ، بلا عصا فى يد مدرس ، وبلا تكشيرة على وجهه !



قولان وأكثر

هل هي مسألة فيها قولان ؟ طبعاً ، فيها أكثر من قولين . ولنفرض أن المؤلف الذى روى قصة حياة الرئيس كنيدى على لسان أرملته قد مات هو أيضاً فى ظروف غامضة ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن هناك « أناساً» حريصون على أن يظل مقتل كنيدى لغزاً ، وأن يحول اغتياله من مأساة إلى جريمة عادية ، وأن تتحول الجريمة إلى « لعنة » وهذه اللعنة قد أصابت جميع أفراد أسرة كنيدى واحداً واحداً .. فالرئيس كنيدى مات قتيلا ، وأخت كنيدى مجنونة من عشرين سنة ، وأخوه تحطمت ساقه ، وأخوه الثانى تكسرت ضلوعه وقتل ، وأبوه مات نصف مشلول ، وأمه مريضة .. والرجل الذى أصدر عنه أول وثيقة تاريخية قد أصيب بمرض مفاجئ .. أو مات ، وبذلك يصبح كنيدى شبحاً مخيفاً لمن يقترب منه .

وفى ظل هذا الخوف ترتعد الحقيقة أو تختفى تماماً ..

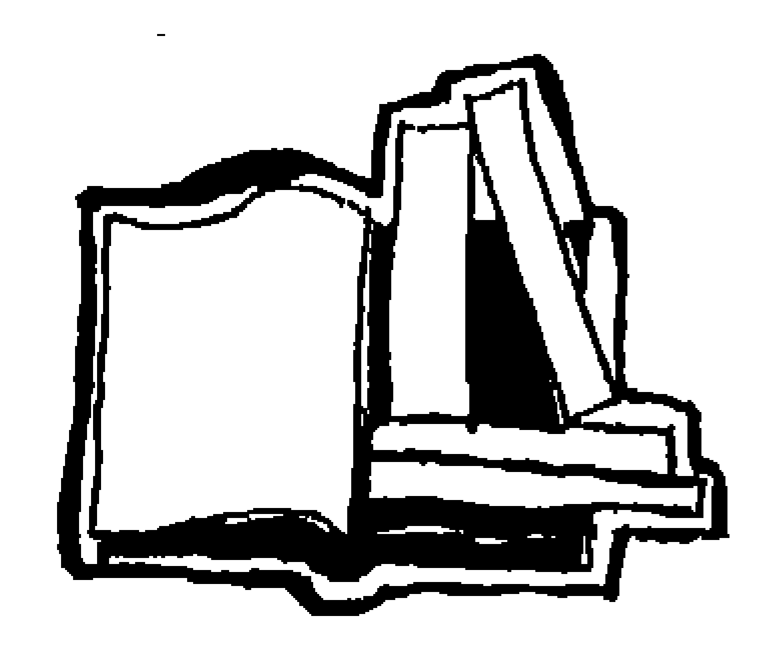
والقضية هنا أخطر من هذا بكثير . إنها قصة التاريخ ، ومن الذى يكتب التاريخ ؟ وكيف يكتبه !

إن طبيب تشرشل أصدر مذكراته عن هذا السياسى الإنجليزى الخطير ، ولكن جاءت هذه المذكرات من وجهة نظر طبيب ، لا يرى تشرشل إلا مريضاً أو متماثلا للشفاء . وهذا الطبيب يريد أن يقول إنه هو المسئول عن صحة تشرشل ، وإنه بفضل عنايته قد جعله يعيش حتى التسعين . فالطبيب يريد أن يتخذ له مكاناً فى التاريخ على حساب تشرشل !

وإيدن عندما كتب مذكراته تحدث عن تشرشل أيضاً ، ولكن كما يتحدث التلميذ عن أستاذه . وهو فى هذه المذكرات يقول بشكل غير مباشر إن تشرشل كان عاقلا جداً جداً . وإن هذا العقل هو الذى جعله يختار إيدن خلفاً له . فإيدن يبنى لنفسه قصراً فى جنة تشرشل .

وبعد انتحار الأديب هيمنجواى صدر كتاب لأحد تلامذته ، وأصدرت أرملته كتاباً أيضاً . وكل واحد منهما يروى جانباً من حياة الأديب ، ولكن ما أبعد المسافة بين الكتابين ! وما أغرب التفسيرات والآراء التى صدرت عن شخصين صديقين لرجل واحد !

وربما كان الخوف من التاريخ وما سوف يقوله عن الأدباء والعظماء هو الذى جعلهم يكتبون تاريخهم بأنفسهم قبل أن يموتوا .. تشرشل كتب مذكراته . وأديناور كتب مذكراته . وديجول كتب مذكراته والأديبة سيمون دبوفوار كتبت مذكراتها فى أربعة أجزاء .. والفليسوف سارتر كتب قصة حياته .. والعقاد وطه حسين كتبا .. والحكيم وزكى نجيب محمود ، جميعهم يكتبون تاريخهم قبل أن يكتبه الآخرون . ولكن من المؤكد أن الإنسان عندما يكتب تاريخه ، يضيف صعوبة جديدة إلى دراسة التاريخ ؛ لأنه يكتب التاريخ من وجهة نظره . فهو يرسم أجمل صورة يراها لنفسه .. أو يحب أن يعلقها الناس فى بيوتهم . وليس كل جميل صادقاً وإنما الجمال هنا عمل فنى أو أكذوبة جديدة .



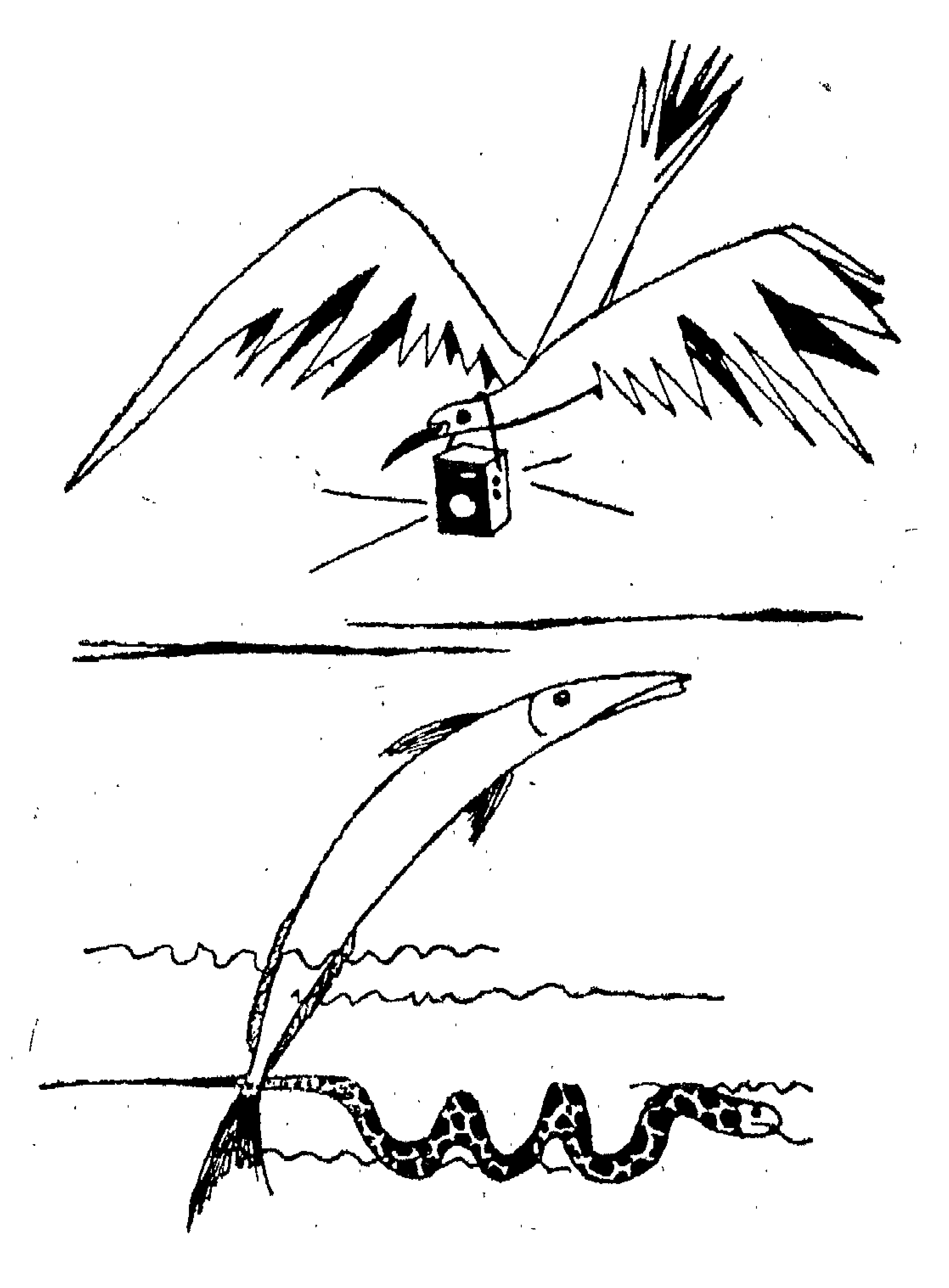
لغز . .

من الألغاز التى تواجه العلماء : لماذا تهاجر الطيور والأسماك من قارة إلى قارة ؟

فهناك هجرات معروفة الطرق والمواعيد للأسماك والطيور .. فهى تقطع ألوف الأميال أيام . . وأحياناً فى سنوات . . لتضع بيضها ، وبعد ذلك تموت . وآراء العلماء مختلفة فى تفسير هذه الظاهرة .. فهم يقولون إن السبب هو تيارات الهواء أو تيارات الماء .. أو المجالات المغناطيسية .. أو الملوحة الموجودة فى الهواء أو فى الماء . لكن لا أحد يعرف كيف تختار هذه الحيوانات طريقاً واحداً ثابتاً لا تغيره . هذه البوصلة السحرية المركبة فى رؤوس هذه الحيوانات هى التى تهديها من قارة إلى قارة !

إن الكثير من الأسماك تجتاز الأنهار . وتتجه إلى المحيط ، وتقطع ألوف الأميال لتبيض بالقرب من الجزر ثم تموت . ولا تخطئ هذا الطريق من ألوف السنين ... وكذلك الطيور المهاجرة .

وفى الأيام الأخيرة تقدم العلماء فى أمريكا إلى هيئات الفضاء يطلبون مساعدتها فى حل هذا اللغز . فقد وضع هؤلاء العلماء راديو ترانزستور فى أعناق بعض السلاحف المائية . ومطلوب من الكواكب الصناعية أن تلتقط إذاعات هذه الراديوهات وإرسالها إلى أجهزة استقبال على الأرض . وبذلك يمكن معرفة مسيرة السلاحف وغيرها من الأسماك والطيور من قارة إلى قارة !

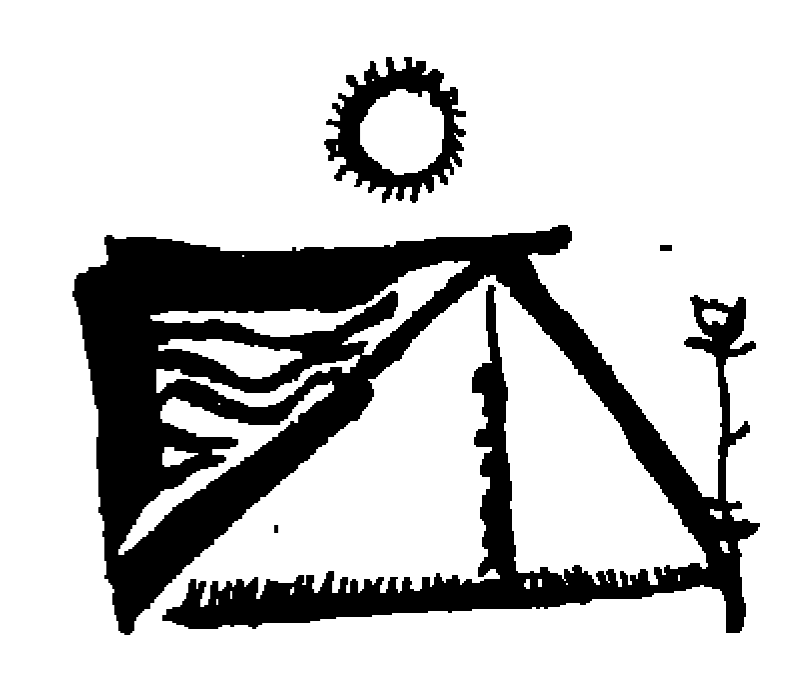


لغز !

وقد تتساءل عن كل هذه الملايين التى يدفعها الاتحاد السوفييتى وأمريكا فى إرسال سفن إلى الغلاف الخارجى من أجل أن تعرف كيف تهاجر الأسماك والطيور . والسؤال قديم ووجيه .. ولكن من يدرى ؟ ربما عرفنا سر تركيب الخلية . ربما عرفنا أثر الجاذبية على الخلية . ربما عرفنا سر تكاثر هذه الحيوانات . ربما وفرنا عليها هذه الهجرة المهلكة وخلقنا لها البيئة المناسبة فيزداد عددها بالملايين . وبذلك نساهم فى إطعام الناس .. وربما عرفنا سر تحويل المادة إلى مادة أخرى .. كأن يتحول الماء إلى بترول . ويتحول الرمل إلى دقيق ، ويتحول الظلط إلى قماش .. وبذلك يختفى الجوع والمرض من العالم .. وبذلك تصبح سفن الفضاء مثل سفينة نوح التى أنقذت الإنسان والحيوان من الطوفان . وليست الإشعاعات الذرية إلا الطوفان الجديد !

إن الذين استكثروا خمسة الآلاف جنيه التى طلبها خريستوف كولمبوس فى رحلته المجنونة لم يدركوا خطورة الأرض الجديدة التى اكتشفها .

وكل سفن الفضاء ليست إلا سفن كولمبوس إلى عوالم جديدة !



شيء من الصدق

مثل شعبي يقول : «الديك الفصيح في البيضة يصيح» .

وهذا المثل يتحدث عن الذكاء المبكر ، والنضج المبكر . أي أن الإنسان الذي سيصبح ذكياً ، لابد أن يكون كذلك منذ الطفولة . وهو ككل الأمثلة الشعبية فيه شيء من الصدق، ولكن ، ليس صادقاً من أوله لآخره . فكثير من الأطفال كانوا شديدي الذكاء ، ولكن هذا الذكاء انطفأ بعد ذلك . إما لأنهم أذكياء فقط في عيون آبائهم —وكل الأطفال عباقرة في عيون آبائهم— وإما لأن الظروف والتربية والتكوين قد أخمدت هذه الشعلة المبكرة؛ وإن كان هناك عدد كبير من العباقرة لم يظهر لهم أي ذكاء مبكر : العالم العظيم أينشتين كان عاجزاً عن الكلام حتى السابعة من عمره ، ولا كلمة . وكان رأسه كبيراً . وكان متفوقاً فقط في الهندسة والجبر ، أما بقية العلوم فهو أصم أبكم . ولكن في العشرين من عمره اكتشف نظرية النسبية ..

وفي الستين مهد لاكتشاف القنبلة الذرية .

والمخترع إديسون كان طفلا بليداً غبياً لا أمل فيه ، وقد اخترع المصباح الكهربي وأكثر من مائة اختراع .. ولكن هذا المثل الشعبي لايزال يسعد الناس جميعاً . فكل أب يريد أن يصدق هذا المثل . فهو يستريح جداً إلى أن يقال له إن ذكاء ابنك هو دليل على عبقريته عندما يكون رجلا . .

ويسعد أية أم طبعاً .

وقد اكتشف تجار السينما الأذكياء هذه الحكمة الشعبية فأكدوها للناس بألوان جميلة . فى كل يوم يأتون بطفل صغير يظهر على الشاشة . طفل فصيح ذكى سليط اللسان . وقد لاحظ هؤلاء التجار الأذكياء أن ظهور طفل بهذا الشكل يهز الصالة وأعلى السينما . ويخنق شبابيك التذاكر .. ولابد أنهم كسبوا مئات الملايين من وراء الطفلة « شيرلى تمبل » والطفل «ميكى رونى » والكلب لاسى والقردة شيتا . وهذه الحيوانات هى صورة من طفولة الإنسان.. وحتى « جيمس دين » عندما ظهر لم يكن إلا شاباً على أعتاب الرجولة . وكان أقرب إلى الطفولة منه إلى الرجولة .

وسوف يظهر أطفال كثيرون يسعدون الآباء والأمهات . مادام الموسيقار موتسارت كان عبقرياً وهو طفل . وعبقريا وهو رجل . كتكوتاً فصيحاً وديكاً فصيحاً ..

وقد ظهر عندنا أطفال على الشاشة وصاحوا فى البيضة ، ولم ينجح منهم إلا القليل جداً . وليس العيب فى البيض ، ولكن العيب فى الكلام والمواقف التى نعطيها للكتاكيت الصغيرة .. إن المخرجين يستخدمون الأطفال فى إسالة دموع الأمهات فقط . فيظهر الطفل ليسأل دائماً : وبابا حيرجع من السفر إمتى يا ماما ؟ ونحن نعلم جميعاً . والطفل طبعاً يعلم ، أن والده قد مات فى الفيلم ....

والحقيقة أن الأب لم يمت ، وإنما هذه الموهبة قد ولدت ميتة !

سلاح المرأة

المرأة تشعر ـــ عادة ـــ بالضعف أمام الرجل .

وتحاول أن تغطى هذا الضعف بالعلم وبالعمل ، وبالاعتماد على نفسها . فإذا اشتغلت مع الرجل فى مكان واحد : فهى حريصة على أن تتشبه بالرجل .. أى تستعير أسلوبه فى القوة .

والمرأة تكره ضعفها ، وتكره أيضاً الرجل الضعيف . ولكن المرأة لا تكره أن تكون ضعيفة أمام رجل قوى تحبه ، بل إنها تفضل أن تكون ضعيفة أمام الرجل على أن تكون أقوى من الرجل .

والملكة المصرية حتشبسوت نموذج للمرأة التى أحيطت بعدد من الرجال الضعاف ، فبعد وفاة أبيها الذى كان زوجها أيضاً تزوجت أخاها ، وكان أخوها هذا أخاً بالتبنى ، وكان لقيطاً ضعيفاً ، وكانت تحتقره . وبعد وفاة أخيها هذا تزوجت أخاها الثانى ، وكان أيضاً ضعيفاً جداً ... وازداد احتقارها للرجال . ومات هذا الأخ فتزوجت ابنه ، وكان أضعف أزواجها الثلاثة . وأحست الملكة أنها هى « الرجل » وأن فى استطاعتها أن تحكم الرجال . ولذلك وضعت اللحية وفتحت صدرها ، وشدت ذراعيها ، وصلبت قامتها ، وتقدمت الرجال وأذلت أعناق النساء ، وأقامت لنفسها التماثيل التى تمجدها كرجل ... وأمرت بأن تدفن بين الرجال فى الدير البحرى .

وبعد وفاتها هدم زوجها تماثيلها .. ومسح صورها . وفقأ عينيها فى كل مكان ، حتى إذا ما بعثت يوم القيامة كانت عمياء ....

لقد كانت حتشبسوت معذورة ، لأنها كانت « أرجل » من الرجال والنساء فى عصرها .

ولكن الأديبة الفرنسية « جورج صاند » كانت قوية الشخصية . شرسة ... وكانت ترتدى ملابس الرجال . وكانت توقع فى غرامها كل الشعراء والفنانين فى عصرها . وكانوا جميعاً فى غاية الرقة والنعومة والأنوثة أيضاً .. وكانت تنفرد بهم الواحد بعد الآخر . ولا تتركهم إلا والدماء تنزف من صدورهم . مثل الموسيقار شوبان والشاعر دى ميسيه وغيرهما .

إن ملكات تجارة التجميل فى العالم دميات الوجه . ضعيفات البنية ، مريضات . قد انتقمن لضعفهن النفسى والجسمى بشكل آخر ، وهذا ما فعلته كل من هيلين روبنشتين وإليزابيث آردن ومارى كلير . فقد قررن أن يخربن بيت الرجال ، فيقبل الرجل هذا الخراب وهو سعيد ، فعن طريق أدوات الزينة والتجميل ازدادت أنوثة المرأة وجمالها ، وازداد إقبال الرجال عليها .. ودفعوا الثمن من مالهم ومن أعصابهم . أى أن ملكات الجمال حتشبسوت العصر الحديث قد أضعفن الرجل أكثر من مرة — والرجل سعيد بما يرى . والمرأة سعيدة بما تجد !



المصافحة .. ألوان

الإحصائيات فى أوربا وأمريكا تؤكد أن عادة السلام باليد أخذت فى الانقراض ، فنصف الناس يرفعون القبعة أو يلمسونها أو يحملونها دليلا على التحية .

أما السيدات فيرفعن أيديهن إلى الرجال لكى يقبلوها . ولأن الرجال لا يرون فى هذه العادة أى معنى كبير ، فإن أكثرهم يستمر فى هذه العادة التى تخفى نوعاً من الملامسة بين الجنسين .

ولم يكن مقبولا من أى إنسان — ولا حتى من الملك نفسه فى القرن الماضى — ألا يصافح أحداً من الناس ، مهما كان السبب .. ولو دخل على ألف رجل يأكلون ويشربون ، فإنه يحرص على مصافحتهم ، ولو أدى ذلك إلى سقوط الطعام والشراب . وهذا ولاشك أهون من إحساسهم بأن الملك غاضب عليهم أو لا يحترمهم .

وكان من المألوف فى ألمانيا مثلا فى القرن الماضى أن تكون المصافحة باليد قوية ناشفة .. ولفترة طويلة . وهذا يدل على المحبة والشوق .. أما إذا جاءت المصافحة رقيقة دون أن تشعر الأصابع والأكف بالقبضة والالتحام ، فهذا دليل على الاستخفاف والاستهانة .

ويبدو أن الشرق قد عدل نهائيًّا عن المصافحة باليد .. ففى الهند مثلا نجد التحية عملية سهلة جدًّا .. فالإنسان يرفع يديه إلى صدره ويضمهما معاً فى احترام واضح .. فيشعر ملايين الناس أن هذه تحية عامة وخاصة لكل منهم .. ومن الممكن أن يفعل ذلك واحد مع عشرة ، ولا يمكن أن تفعل ذلك إنديرا غاندى مع ٥٠٠ مليون هندى !

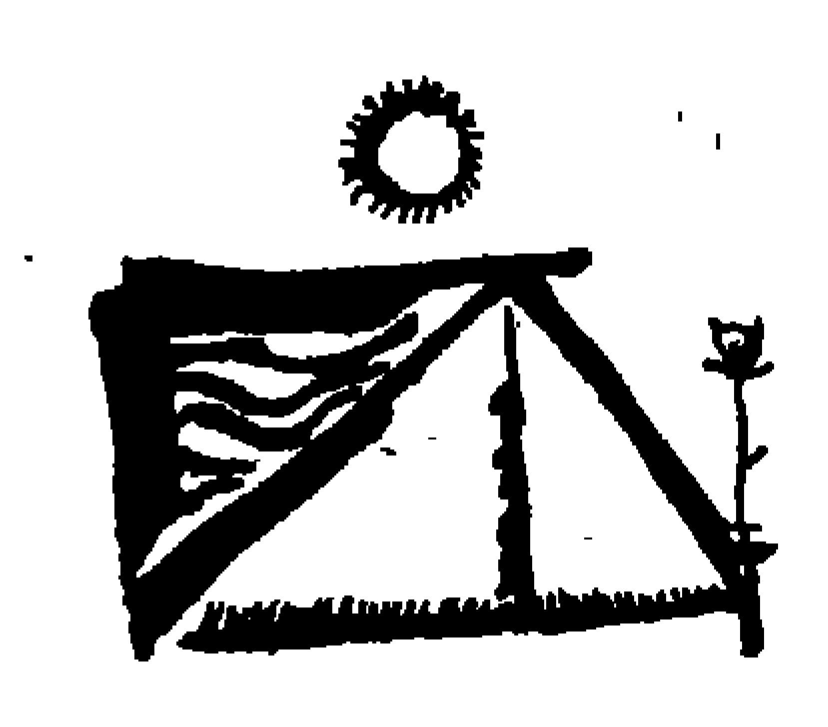
وفى اليابان ليس عليك إلا أن تحنى رأسك وظهرك إلى الأمام .. تفعل ذلك لشخص عدة مرات ، وتفعل ذلك لمليون شخص أيضاً .. فى البيت .. وفى الشارع ، وأحياناً على مائدة الطعام .. فإذا كنت صاحب بيت ثم شكر الناس حفاوتك وطعامك فأنت تنحنى وأنت — جالس بدلا من أن تنهض فجأة وتقلب « الترابيزة » على الضيوف .

وأحسن أنواع السلام والمصافحة هو ما تفعله السيدات ، فتتجاور الخدود فى رفق حتى لا يفسد الأحمر والأبيض . وكل واحدة قد أدارت وجهها للناحية الأخرى حتى لا يبدو الافتعال أو التمثيل على وجهها !

وأسخف أنواع التحيات والمصافحات هى الموجودة عندنا فى الوسط الفنى والأوساط التى لها علاقة بالفن كالإذاعة والتليفزيون والمسارح والصحف : العناق والقبلات . . وأكثر الأحيان بين أناس يلتقون لأول مرة . .

أما الشىء الذى لا يطاق فهو أن يقبل الرجال بعضهم بعضاً وفى الفم !

إننى أنتهز هذه الفرصة لأجدد احترامى للهند .. ومحبتى لليابان .



المرأة تنتظر ..

المرأة اعتادت الانتظار ...

انتظار الرجل : ما هي خطوته التالية ؟ .. ماذا سيصنع لها ...؟

والانتظار عند المرأة ليس وقتاً ضائعاً . إنه وقت ملىء بالإحساسات والحكايات ، فالمرأة تنظر مفتوحة العينين على كل شيء ، ومفتوحة الأذنين أيضاً .

والذى تلمحه المرأة فى لحظة ، لا يدركه الرجل فى ساعات .. ولو عرف الرجل ما الذى تقوله النساء إذا جلسن معاً ، لأغمى على أكثر الرجال عقلا — لأن المرأة عرفت أكثر مما يتصور الرجل ، ولأنها لاحظت ما لا يدركه الرجل !

وعندما كان الرجل يعيش فى الغابات يقطع الأشجار ويجمع الثمار ويصيد الوحوش ، كانت المرأة فى انتظاره بعيداً مع أطفالها .. وفى سنوات الانتظار اشتغلت المرأة بزراعة الأرض .. واشتغلت بتحويل الأغصان إلى أكواخ . فالرجل يجمع الأعشاب والمرأة تصنع منها العش . والمرأة فى حاجة إلى العش أكثر من الرجل .. لأنها يجب أن تلد ، وأن ترضع طفلها ، وأن تحتضنه ، وأن تربيه ، وأن تمرض قبل ذلك وبعده .

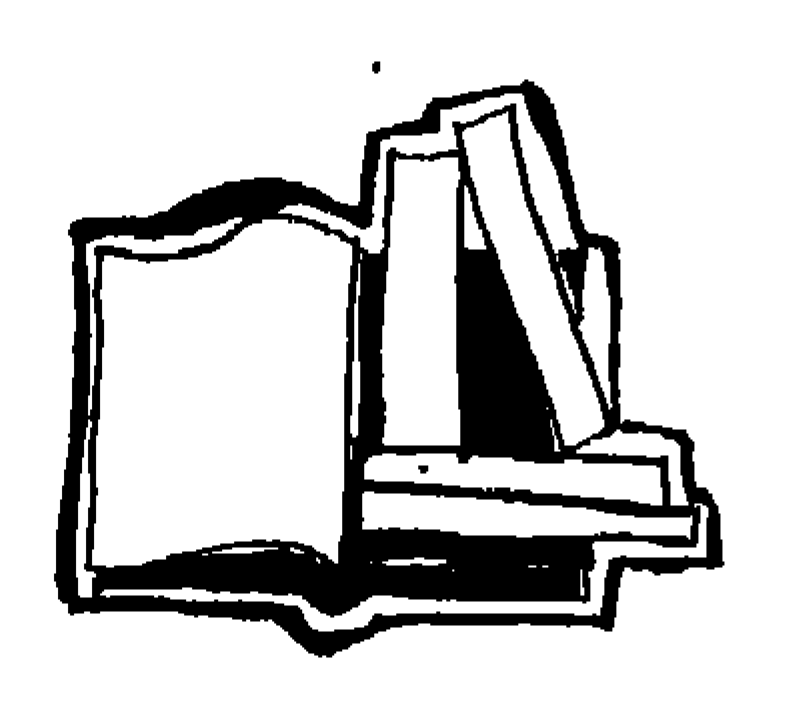
والأسطورة الإغريقية القديمة تحدثنا عن « بينلوب » التى انتظرت زوجها البطل عشرين عاماً . لقد تكاثر الناس عليها يقولون لها إنه مات .. وإنه لن يعود لعلها تختار واحداً منهم . ولم تفعل . وملأت وقتها

بعمل « البلوفرات » وكانت تقول لكل رجل : عندما أفرغ من هذا « البلوفر » سوف أتزوجك .. وكانت الخيوط التى تربطها بالنهار تفكها فى الليل .. وبذلك بقيت مخلصة لزوجها .

ويقال إنها اشتغلت فى تربية الدواجن ، وإنها كسبت مالا كثيراً .. — أى إنها لم تضع وقتها . ولما جاء زوجها قتل كل من حولها من الرجال .

أما « ألف ليلة وليلة » فقد كانت نهايتها أجمل وأعمق . فبعد أن فرغت شهر زاد من حكاية المائة والعشرين قصة فى ألف ليلة طلبت بدموعها من الملاك شهريار ألا يقتلها ، كما هى عادته ، من أجل أبنائها الثلاثة ... أبنائهما الثلاثة . وكانت مفاجأة ، فقد اعتاد الملك أن يقتل كل ليلة فتاة . فلما تزوج شهر زاد استطاعت أن تنسيه هذه الجريمة .. ففى مواجهة شهرزاد للموت راحت تسلى الملك ، وفى مواجهتها هذا المصير المخيف حولته من زوج إلى عاشق .. ودون أن يدرى الملك حولته من عاشق إلى أب ... ثلاث مرات ...

إن شهر زاد — وأى شهر زاد — قادرة على الانتظار .. وقادرة أكثر على أن تملأ فراغها بما يشد الرجل إليها .. إنها لا تضيع وقتها حتى لو تظاهرت بذلك !



اليوجا علاج

فى مواجهة الانحلال الأخلاقى والانطلاق الجسمى ، ظهرت « اليوجا » فى أوربا وأمريكا .

وهو رد فعل معقول وطبيعى .. وفى أوربا وأمريكا موجات صاعدة وهابطة للانحلال الفردى والتفكك الاجتماعى عند الشبان ، فهناك ملايين الشبان يدمنون الخمر ، ويقبلون على الانتحار . وهناك ملايين الشابات يدمن المخدرات . وقد ارتفعت نسبة الأمهات غير المتزوجات فى أمريكا وفى أوربا ، وأصبح من المشاهد المألوفة زفاف العروس وهى حامل!

وأصبح الاستخفاف ظاهرة عامة ، فلا أحد من الشبان يريد أن يكون مسئولا عن شىء أو عن أحد . فأهم مظهر من مظاهر الانحلال ألا يكون الإنسان مسئولا . ألا يكون طرفاً فى قضية مثل الحرية .. أى ألا يكون هو حرًّا ، وألا يحترم فى الوقت نفسه حريات الآخرين . أى لا يعرف الحدود .. حدوده وحدود غيره !

وفى مواجهة هذا الانحلال لابد من التفكير فى تشخيص هذا المرض وعلاجه . وقيلت أسباب كثيرة : من بينها التمزق العائلى ، ونقص الشعور الدينى ، وفيض المجلات والإذاعات الجنسية ، والخوف من الموت بالقنابل وبالأسلحة النووية ..

ولكن أسلوباً واحداً من أساليب العلاج كان أسهلها جميعاً . هذا الأسلوب هو « اليوجا » وهو مذهب هندى فى ترويض الإرادة الإنسانية .. فالذى يمارس اليوجا يجب أن يتحكم فى إحساساته وفى

رغباته .. وأن يسيطر على جسمه تماماً . عضواً عضواً . وفى استطاعة الذى يمارس اليوجا أن يتنفس من جانب واحد من الأنف .. وأن يتوقف عن التنفس وقتاً طويلا .. وفى استطاعته أن يمتنع عن الطعام وعن الشراب . وبعض الممارسين لليوجا صفت نفوسهم لدرجة القدرة على قراءة الأفكار وسماعها أيضاً !

وهذه اليوجا أسلوب مثالى .. لأن معناه أن يبدأ الإنسان بنفسه . أى يبدأ بأن يقسوا على نفسه ، وأن يتحكم فيها ، قبل أن يطلب ذلك من غيره . ولو استطاع الناس أن يسيطروا على رغباتهم وعلى شهواتهم وأن « يفرملوا » نزواتهم لتحقق السلام بين الناس وبين الشعوب ..

واليوجا ليست ديناً ، كما أن كرة القدم وكرة السلة والسباحة ليست ديناً من الأديان ، ولكنها جميعاً مناهج منظمة لترويض الجسم والنفس معاً !

وما أحوجنا — الآن وفى كل وقت — إلى تركيب فرامل وصفارات إنذار على نزواتنا وأطماعنا .. ما أحوجنا جميعاً إلى هذه اليوجا !



بابا نويل عربي

مرة أخرى يجيء « الكريسماس » ورأس السنة في شهر رمضان المبارك ..
وكل سنة وأنتم طيبون . ومرة أخرى يظهر « بابا نويل » بوجهه الباسم
وطرطوره ولحيته البيضاء ، والشوال الذى امتلأ بالهدايا .. ومرة أخرى
يظهر الجديد في فترينات محلات الأزياء .

ومرة أخرى أنادى أن تكون لنا شخصية عربية مثل شخصية
بابا نويل تعبر عن أعيادنا الشرقية والإسلامية .

وفى العام الماضى اقترحت أن تكون لنا شخصية « عم رمضان »
وأن يكون عم رمضان ابن بلد ظريفاً لطيفاً رشيقاً .. وأن يرتدى الجبة
والقفطان والعمامة .. وأن يمسك فى يده طبلة المسحراتى ، وأن يمسك
عصا يضرب بها الأطفال الصغار أو الرجال الذين يضبطهم مفطرين
فى رمضان .. أو تراه وهو يمسك خروف عيد الأضحى .

ولاشك أن شخصية عم رمضان ستكون مادة للدعاية .. فسوف
تكون ملابسه مصنوعة من الكنافة .. أو قمر الدين .. وسوف تكون
عصاه فى لون البصل الأخضر أو الفجل ، وسوف يتشاجر عم رمضان
مع المسحراتية الذين يدقون الطبول ، والناس لم يناموا بعد ..

ومن الممكن أن يكون عم رمضان هو عم صيام .. أو يكون اسمه
أبا الصيام ، وأن يكون أبو صيام هو لسان حال الناس أو حال التعقل
والاعتدال والاقتصاد فى الأكل والشرب والنفقات .. فهو يطارد
الذين يسرفون فى الطعام ويسرفون فى الإنفاق .. وهو الذى يطارد
الزوجات اللاتى يبعن حليهن من أجل كعك العيد أو خروف
العيد ..

وربما كان من الأنسب أن يكون له اسم آخر هو « عم عيد » .. وبذلك يناسب عيد الأضحى وعيد الفطر .. « والكريسماس» ورأس السنة أيضاً .. ويكون له نفس الوجه ولكن تتغير أزياؤه في المناسبات .. فهو يضع اللحية والطرطور « والشوال » على كتفه في « الكريسماس » ورأس السنة .. وينزع الطرطور واللحية « والشوال » في الأعياد الإسلامية .. ولكن المهم أن يكون « عم عيد » هذا هو البديل لبابا نويل .. وهو ليس خصما لبابا نويل .. وإنما صديق له .. ومواطن عربي متسامح متفائل . . يطلب من كل الناس على اختلاف ألوانهم أديانهم أن يتمسكوا بالقيم الأخلاقية وأن يتحابوا وأن يعتدلوا شهراً في كل سنة .. وكل سنة ونحن طيبون .



أم مثقفة .. أين ؟!

لو كانت أمهاتنا مثقفات .. لو كن يعرفن الدنيا ... لو قلن شيئاً مفيداً ونحن صغار ... لو أمسكت واحدة منهن يدنا ودفعتنا بالقوة إلى المتحف ، وأشارت إلى عربة رمسيس وقالت : هذه العربة التي كانت تجرها الجياد كان يركبها الملك من ألوف السنين ... ثم نظرت إلى كل واحد منا نظرة ذات معنى — لو حدث هذا لتغير وجه التاريخ .

فإن الرجل الأمريكي « فورد » الذى ابتكر السيارة لم يكن نائماً ثم صحا من نومه وفي جيبه تصميم لسيارة صغيرة . وإنما كان يفكر دائماً في شيء أحسن من العربات الغليظة التي توقظ النائمين والتي تمر من تحت شباك غرفته ، وكان لا يدرى ما الذى يفعله . إن أمه فكرت في أن يجعل غرفته في مكان آخر ، وإن أباه فكر في أن يجعل شباكه مسدوداً بإحكام حتى لا يسمع هذه الضوضاء ... ولكن الطفل كان يضع رأسه تحت المخدة ... ولا ينام .

واكتشفت أمه ذلك ، وسألته عن سبب أرقه فقال إنه عندما يطبق عينيه ويسد أذنيه يحلم بأنه يسمع ضوضاء العربات .. وهنا برقت عيناها — كما لم تفعل أمهاتنا — وقالت له : إذن أعمل أي شيء .. ابحث عن طريقة لكي تكون هناك عربات بلا ضوضاء ... !

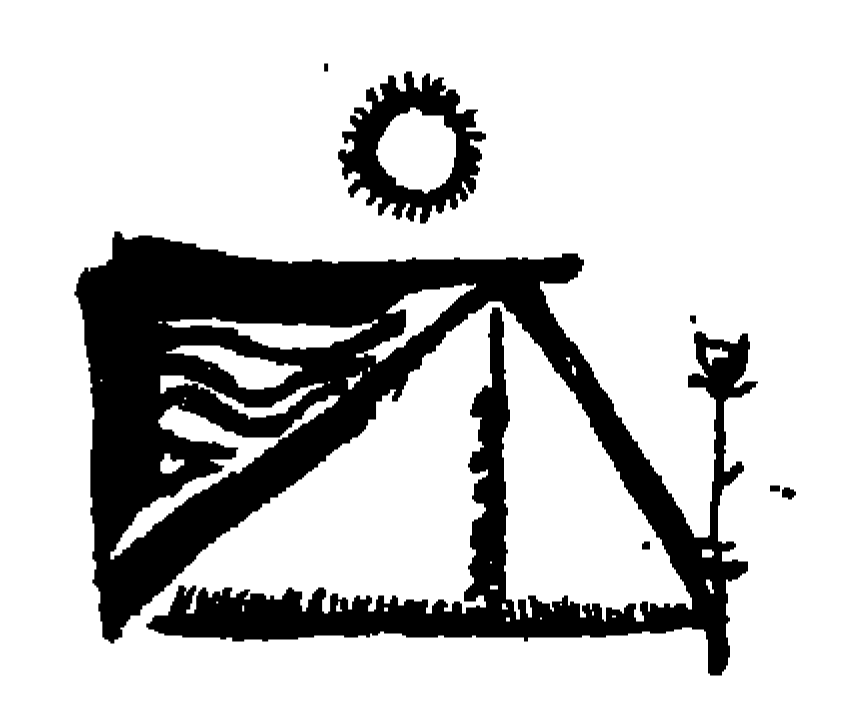
وكأن كل مواهب الطفل مجموعة من الجنود في ملابس الميدان قد صدر إليها الأمر بالتقدم . وتقدمت مواهبه نحو الهدف . ولم تعبأ

بالصعوبات الشديدة . استطاع الطفل أن يفعل شيئاً . وكانت السيارة التى تنطلق بسرعة وبضوضاء أقل ..

أما الرجل الذى اخترع طائرة الهليكوبتر — كلمة « هليوكبتر » خطأ فلا توجد « واو » بعد الياء فى الأصل اليونانى — فهو روسى الأصل . وقد ذهب مع أمه فى يوم من الأيام إلى المتحف . ولسبب لا يعرفه الطفل اتجهت أمه إلى إحدى لوحات دافنشى . ثم أشارت بأصابعها التى تضغط على إصبعه وقالت : هذا رسم كروكى لدافنشى من ٤٠٠ سنة .. إنه مشروع طائرة ترتفع عمودياً .. فكرة رائعة !

هذا الصغير اسمه سكورسكى .. وهو الذى اخترع الهليكوبتر بأشكالها وأحجامها المختلفة . وقد أنفقت أسرته كل ما تملك من أجل أن ينجح هذا الطفل الذى رأى فقط صورة غير واضحة رسمها خيال فنان عظيم !

إن أمهات اليوم يستطعن الكثير جداً . فإن أعظم الاختراعات والأعمال قد بدأت بإشارة ذكية واعية من أم إلى طفلها !



النوم فوق السطوح
أو النوم على الأرصفة

تحديد النسل .. هذا التعبير ابتكرته سيدة من خمسين عاماً . هذه السيدة ماتت فى الثمانين منذ أشهر . وقد التصق فى ذهنها هذا التعبير عندما رأت سيدة أخرى تلد ، وقبل أن تموت هذه السيدة الأخرى اتجهت إلى الطبيب تقول : ألا توجد طريقة لمنع الحمل يادكتور ؟ فأجاب الطبيب : قولى لزوجك أن ينام فوق السطوح !

وماتت الأم وهى تلد .. كأنها اختارت الموت على أن تضحك لهذه النكتة السخيفة التى تخفى وراءها حقيقة مؤلمة : وهى كيف يحدد الإنسان أبناءه .. كيف ينقص عدد سكان العالم ؟ كيف يستخدم الإنسان حقاً طبيعياً وهو ألا يكون له أولاد .. أو العدد المعقول من الأولاد !

أما السيدة التى استمعت إلى هذه النكتة ولم تضحك فهى « مرجريت سانجر » ، وكانت تعمل ممرضة فى ذلك الوقت . وهى قد عانت فى أسرتها من كثرة الإخوة وتعاسة أبويها .. فهى رقم ستة بين أحد عشر أخاً !

ولذلك كان من الطبيعى أن تنادى هذه الفتاة بتحديد النسل .

وحاول أبوها أن يقنعها بالاهتمام بموضوع آخر غير ما يدور فى غرف النوم ، فرفضت وطلبت منه أن يهتم هو أيضاً بموضوع آخر غير زيادة عدد التعساء من إخوتها .. وغضب الأب . وخاصمته

ابنته عندما ماتت أمها وهى تلد الابن الثانى عشر!!

وتزوجت «مرجريت سانجر» وأنجبت ثلاثة أطفال . ومات زوجها ثم عادت وتزوجت مليونيراً .. كانت له زوجة فقط.. وكانت تعيش معه تليفونياً من غرفة نومها المجاورة .. لقد كرهت أن تكون أمًّا وأن تكون زوجة ، والتزمت بمبدئها وهو : ثلاثة أطفال لا أكثر للقادرين!

وثارت عليها الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا .. وهددت هى بالهجرة من أمريكا إذا الشعب اختار الرئيس الكاثوليكى جون كنيدى واختاره الشعب ، واختارت حكومته مبدأ تحديد النسل .. وبقيت «مرجريت سانجر» تدعو إلى إنقاص عدد الجائعين فى العالم .. فلا يزال الجياع أغلبية ساحقة .. ولايزال أمام العالم أن يختار بين أن ينام الأزواج فوق السطوح أو ينام الأطفال على الأرصفة !



رفقاً بالإنسان

أصحاب القلوب الرقيقة لاحظوا أن الحيوانات في الغابات أخذت تنقرض : الأسد والغزال والزراف والفيلة والقرود . وكذلك انقرضت بعض الطيور . والسبب هو أن الإنسان يقسو على هذه الحيوانات ويصطادها بأساليب غير إنسانية ؛ لذلك كان لا بد أن تختلج هذه القلوب وتبحث عن طريقة إنسانية عالمية لإنقاذ الحيوان من أخيه الإنسان .

فاتفقت عشرون دولة أفريقية وأمريكية في « تشاد » على عقد مؤتمر دولي بإشراف اليونسكو على البحث عن الوسائل الإنسانية لحماية هذه الحيوانات حتى لا تنقرض . فليس من الإنسانية أن يقضي الإنسان على الحيوان . مهما كان الدور الذي يقوم به الحيوان ، سواء في حدائق الحيوان ، أو في « السيرك » أو في المعامل في خدمة العلم ..

حتى الكلبة « لايكا » التي أطلقها السوفييت في أول قمر صناعي حول الأرض . كان انتصاراً علمياً هائلا . ولكن على حساب هذا الحيوان المسكين !

هذه القلوب الرقيقة لم تضطرب لحظة واحدة لما يلقاه الزنوج في أمريكا من هوان وتعذيب . لم تتألم هذه القلوب لما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان . ولم تشعر هذه الدول الأفريقية بأية رغبة في الاحتجاج أو الاستنكار لما يفعله الأمريكان البيض بالأمريكان السود ... لما يفعله الأمريكان البيض من أجل انقراض الأمريكان السود ..

ولم تهتز هذه القلوب أيضاً لما يفعله الأمريكان البيض بالآسيويين الصفر في فيتنام .. وما يفعله الأمريكان في الشرق الأوسط .

ويظهر أنه من الإنسانية أن يكون الإنسان رقيقاً مع الحيوان وليس رقيقاً مع الإنسان .. ولو قدر لهذه الحيوانات أن تتكلم لقالت : أيها الإنسان أنت منافق، ارحم نفسك قبل أن ترحم غيرك .

إن أي « كرباج » ينزل على ظهر حيوان يوجع كل البشرية ؟! ولكن هذا النوع من العطف الإنساني على الحيوان هو نوع من «الترف» العاطفي .. أما « الضرورة » العاطفية فهي أن نعطف على الإنسان !



خاطبة العصر

لابد أنه كان شاباً تعيساً ذلك الذى نشر إعلاناً فى إحدى الصحف الألمانية فى يناير سنة ١٨٦٨ يطلب فيه عروساً تناسبه . فقد جاء فى الإعلان : « شاب عمره ٢٧ سنة ، من أسرة غنية ، يرغب فى الزواج من فتاة من أسرة غنية لا تزيد سنها على ٢٥ سنة ، تحب الأطفال والحيوانات » .

ولا أحد يعرف هل تزوج هذا الشاب بعد ذلك ؟ وهل كانت زوجته فتاة قرأت هذا الإعلان ؟ أو أنها فتاة أخرى التقى بها بمحض الصدفة فى إحدى الكنائس أو إحدى الحفلات أو أنه تزوج واحدة من قريباته برغم معارضته لذلك فى أول الأمر .. أو أنه أعرض عن الزواج ؟ !

يبدو أن هذا الشاب قد سجل فقط أنه أول من نشر إعلان زواج فى العالم ! واكتفى بذلك !

ولكن أشهر إعلان عن الزواج أذاعته صحف أوربا لصاحب جائزة نوبل : ألفريد نوبل الرجل الذى اخترع الديناميت ثم أراد أن يكفر عن هذه الخطيئة العلمية فجعل كل ما كسبه من بيع الديناميت جوائز مالية لتشجيع البحث العلمى الذى يخفف آلام الإنسانية ، ثم للعمل من أجل السلام .. هذا الرجل أعلن عن حاجته إلى سكرتيرة . وجاءت السكرتيرة ، وكانت من أسرة نمساوية عريقة وفقيرة . وقبل أن يصارحها بحبه لها ، اعترفت له هى بحبها لرجل آخر ، وأنها تحلم بالزواج منه . وجاء اعترافها هذا حبلا من

الديناميت نسف أحلام الرجل وأباد تفاؤله . وكانت هذه السكرتيرة هي حبه الوحيد . وكانت أول امرأة تفوز بجائزة نوبل !

وتتفاوت صيغ هذه الإعلانات فى الصحف والمجلات ؛ فهناك من يطلب صفات جسمية واضحة وصريحة ، وأحياناً عارية . وهناك إعلانات عن الصداقة والعشق .. وهناك إعلانات تطلب صور الفتيات . وتشترط أن تكون الصور بمايوه من قطعتين حتى يرى زوج المستقبل كل معالم العروس بوضوح ..

وباب « إعلانات الزواج» يعود بالمال الكثير على الصحف والمجلات فى أوربا وأمريكا ..

وهذه الإعلانات تؤكد حقيقة مؤلمة : وهى أنه برغم هذا الاختلاط الشديد بين الناس فى العمل واللعب فإن المسافة بين الناس بعيدة .. وشعور الناس بالعزلة والوحدة والأسى أعمق من أى وقت مضى !

وكأن هذا الاختلاط بين الناس لا يكفى لأن يختار الإنسان أية واحدة فيتزوجها .. أو كأنه لا يجسر على أن يصارحها بذلك .. أو كأن أحداً لا يصدقه إذا أعلن أنه جاد فى رغبته .. أو كأن هذا الزحام الذى يحيط بالإنسان من كل مكان قد جعله يحس مرة أخرى أنه وحده .. وأن الجنس الآخر بعيد عنه .. وأنه فى حاجة إلى « خاطبة » والصحف هى « خاطبة » العصر الحديث !

الراقصة إنسانة

ارتفع الستار فى مسرح « الفولى برچير » فى باريس ، وفوجئ المتفرجون بأن الراقصات لم يخلعن ملابسهن ، كما هى العادة ، فالراقصات قد ارتدين ملابسهن كاملة ، والفرقة الموسيقية توقفت عن العزف . لماذا ؟

إن الراقصات قد أضربن عن العمل . وكانت مفاجأة ، وجاءت صاحبة أشهر وأقدم مسرح موسيقى راقص فى باريس تصرخ وتقول : إننى مندهشة !

وتقدمت الراقصات يقلن : إن دهشتك هذه إهانة لنا . لماذا لا نضرب .. لماذا لا نطالب بحقوقنا .. فإذا كنا نتجرد من ملابسنا أمام المتفرجين .. فإن هذا الفن لا يجردنا من إنسانيتنا . ولا يمكن أن تسقط حقوقنا كما تسقط ملابسنا !

وهذا المسرح الراقص المشهور جدًّا قد افتتح فى باريس منذ مائة عام ، وبدأ نشاطه الفنى بعرض الأوبريتات ثم بعرض أعمال البهلوانات . وفى الأزمات تحول هذا المسرح إلى قاعة سياسية ضد العدوان وضد الطغيان ..

وقد ظهر على مسرح الفولى برچير فى باريس عدد كبير من مشاهير الفنانين مثل : شارلى شابلن الذى ظهر يلقى المونولوجات وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، ورقصت چوزفين بيكر ، وغنى موريس شيڤاليه .. وكانت الراقصة الجاسوسة « مستنجيت » تتصيد ضحاياها هناك . . . . أما الأديبة « كوليت » فكانت ترقص وتغنى ..

وبعد ذلك اعتزلت المسرح لتتفرغ للأدب . وكانت أديبة ممتازة .. وكان الممثل «فرناندل» يضحك على المسرح ويتندر على فمه الواسع ، تماماً كما كان يفعل إسماعيل يس ..

وكان الفولى برچيير قاعدة لإطلاق الصواريخ الراقصة والعارية إلى كل عواصم العالم .. وعندما تظاهر الشباب والعمال فى باريس تضامنت الراقصات مع الطلبة ومع العمال . فمن بين الراقصات طالبات فى السوربون .. وهناك راقصات تخرجن فى الجامعة . وهناك راقصات يتكلمن سبع لغات . وتوجد راقصات يتكلمن عشر لغات — كل هذه المؤهلات الثقافية قد ألقين بها فى وجه صاحبة المسرح !

ولأول مرة تجلس الراقصات فى مقاعد المتفرجين ، وينمن أيضاً حتى تجاب مطالبهن ، وهى : أن ترتفع أجورهن ، وأن تتوافر لهن غرف نظيفة لخلع الملابس وغرف للاستحمام .. وأن يشاركن فى إدارة المسرح .

وانتهى إضراب الراقصات وتحققت مطالبهن !

ونعم الناس : الذين طالبوا ، والذين استجابوا لهذه المطالب !



الكاتب لا يهمه
إلا أن يكتب

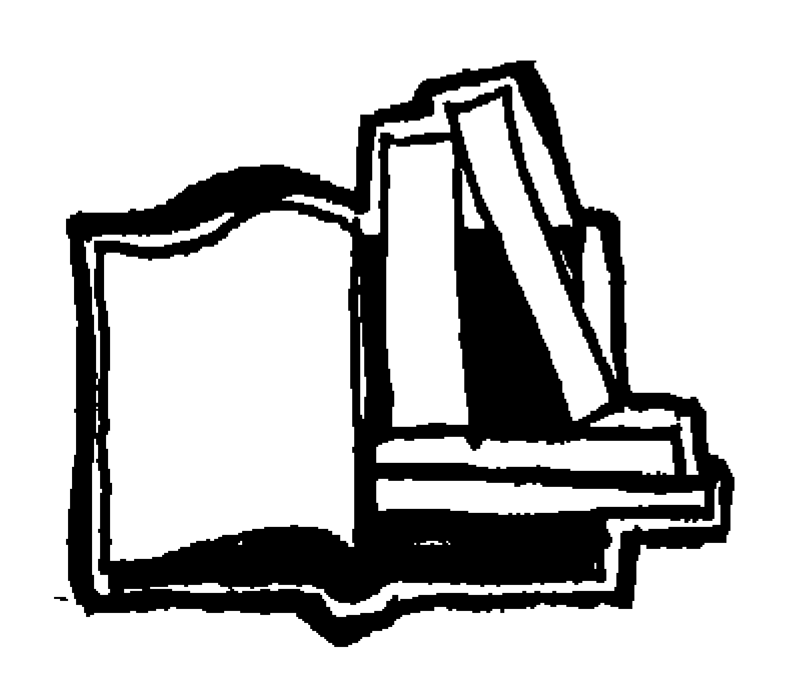
إننى أتساءل كثيراً : هل يشغل المؤلف نفسه بالذين يسرقون كتبه من بعده ؟ هل يفكر فى القراء الذين سيقلبون كتبه بعد أن يتحول هو إلى تراب ؟ هل يهتم الكاتب بمستقبل أفكاره أو بوجوده هو فى المستقبل ؟

إن الكاتب يريد لأعماله أن تبقى ، وأن يستمتع ببقاء أفكاره وهو ما يزال حياً .. فبقاء أفكاره وانتشارها بقاء له وانتشار لوجوده وأثره فى الناس وعلى الناس . وهو ولا شك حريص على أن يكون له وجود وأن يكون هذا الوجود محترماً قوياً أومحبوباً ، لأنه من الممكن أن يكون الكاتب قوياً ولكن ليس محبوباً . ومن الممكن أن يكون محبوباً ولكن ليس محترماً . والذى يرضى الكاتب أو المؤلف عموماً هو أن يكون له الوجود الكريم ..

ويسعد المؤلف أحياناً أن يتخيل أنه سوف يكون موجوداً فترة طويلة.. وأن أحداً لن ينساه وهو ما يزال حياً : لأن نسيان الناس له ، وهو حى ، نوع من التعجيل بالوفاة . وهذا النسيان يفزع الكاتب ، لأن معناه أن الناس قد نسوه وهو حى ، وأنهم سوف ينسونه تماماً بعد أن يموت .

والكاتب — كأى كائن حى — يفكر فى الموت أيضاً . والموت قضية تشغله مادام حياً . فهو لا يريد أن يميته الناس . ولو اختار الكاتب بين أن يميته الناس وبين أن يميت هو نفسه لاختار الانتحار .. ولايزال الانتحار أكرم على نفس المؤلف من أن يدفنه القراء حياً .

ولكن بعد أن يموت الكاتب فإن أعماله الأدبية تصبح فى أيدى غيره من الناس .. سواء كان الناس هم الورثة أو هم القراء . وطبعاً لا يهم الكاتب الميت أن يدوس القراء كتبه أو يحرق الورثة جثته . لقد مات الكاتب . قال ما عنده ومات . ولو عرف المؤلفون كل ما يفعله القراء بهم ؛ وما يفعله الورثة بمؤلفاتهم ، لأصابهم حزن ويأس ، وربما انتحروا .. ولكن لو أعيد المؤلفون إلى الحياة وهم يعرفون هذه النتائج مقدماً ؛ فهل يقلعون عن الكتابة والتأليف ؟ هل تجيش نفوسهم بالأفكار والمعانى والصور ثم لا يكتبون ؟ إننى أشك كثيراً . فالكاتب كالشمس يضىء ولا يملك إلا أن يضىء.. ولا يضايقه إن كان الذى يمشى فى ضوئه برغوثاً أو فيلا .. وإن كان الناس يسدون فى وجهه النوافذ ويقاومونه بالأسبرين وطواقى الثلج أو بالهرب إلى مياه البحر .. كل هذا لا يهم . لأنه لا يملك إلا أن يكتب .. ولا يملك إلا حياته .. أما ما بعد حياته فليس ملكاً له .. ولذلك فالكاتب يكتب ، ويعلم مقدماً ما سوف يحدث له .. فهذه سنة الحياة : أن يساهم فى بناء الحاضر ، ويساهم بجسمه فى ملء قبور المستقبل !



النوم والجمال

منذ عشرين قرناً كتب شاعر الحب اللاتيني أوفيد ينصح المرأة بأن أحسن طريقة لكي تكون لها بشرة جميلة هي : أن تأتي بالدقيق والبيض وتخلطهما معاً . ثم تعرضهما للهواء ، وبعد أن تجف العجينة يجب أن تحولها إلى دقيق من جديد، وأن تخلط الدقيق بعسل النحل ، وتضع هذه المادة اللزجة على وجهها يوماً كاملا ، وأن تكرر ذلك مرتين في الأسبوع ، وينبهها إلى ضرورة النوم الطويل العميق ، والنوم الطويل ممكن ، ولكن كيف يكون عميقاً . فليس أسهل من أن يتمدد الإنسان على فراش ، وليس أصعب من أن يأتي بالنوم . ومن الصعب جداً أن يجعله عميقاً .

ولكن مراهم التجميل لا تخرج كثيراً عن هذه النصيحة ، فكل مساحيق التجميل والمراهم والدهانات مليئة بالبيض وزيوت النباتات وباللبن وبعسل النحل . وكل أطباء التجميل ينصحون المرأة بأن تنام كثيراً ، فإذا نامت استراحت بشرتها . ويبدو أن النوم في العصر الحديث ليس نوماً صحياً ، وإنما هو نوم مرضي .. فنحن لا تستسلم للنوم وإنما نرغم النوم على أن يجيء ، ونستخدم مع النوم وسائل القهر والبطش ونستعين عليه بالحبوب المهدئة . ونستعين عليه بالمخدرات الطبية . وأحياناً نغرق في النوم كما يلقي الإنسان بنفسه في الماء في أثناء الغارات الجوية ، أو عندما يهاجمه وحش من الوحوش . وهذه الغارات وهذه الوحوش ليست إلا الأرق والقلق . ويجيء النوم منقذاً لنا من هذا العذاب ، أي منقذاً لنا من أنفسنا . وقد لجأ أطباء التجميل إلى

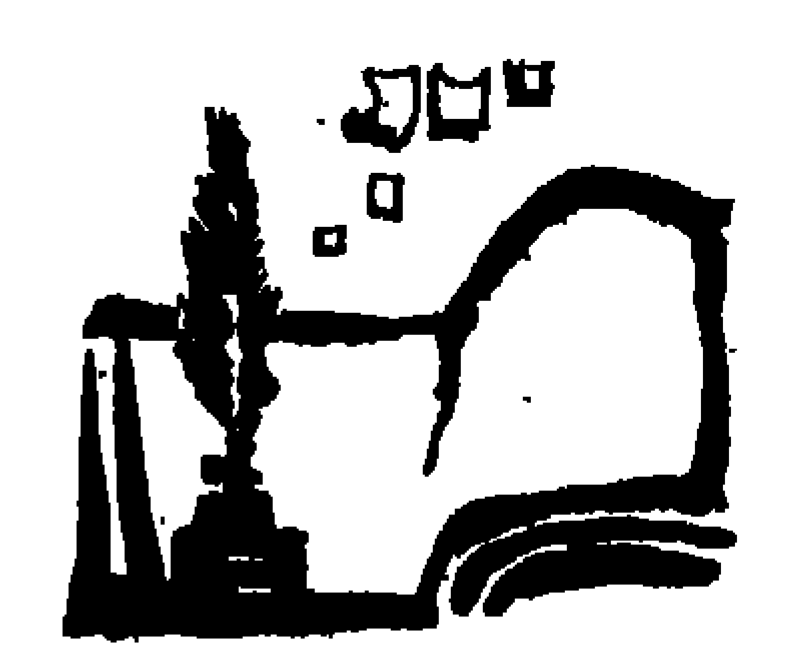
استخدام مواد مخدرة للبشرة نفسها .. أى لتنويم البشرة فقط . فالنوم للبشرة يريحها .

ولكن من المؤكد أن النوم لكل الجسم هو الذى يجعل الدم صافياً خالياً من السموم المهلكة للبشرة .

والأطباء فى كل العالم ينصحون بالنوم .. فالنوم يريح عقل الرجل وهذا هو الذى يهمه فى الدرجة الأولى . ويريح بشرة المرأة ويحفظ لها جمالها . فالنوم ليس علاجاً للبشرة ، وإنما هو علاج للعقل أيضاً .

وما أقل الذين ينامون بهدوء فى هذا العصر الذى يحكمه الخوف والرعب من الغد ! والإنسان كالحيوان ، فأكثر الحيوانات خوفاً أقلها نوماً .

ولايزال الخوف هو الحاكم المطلق لهذا العصر . وإذا كان الخوف هو الإمبراطور فحاشيته هى الأرق والإمساك وضغط الدم والجنون . ولذلك نتحصن ضده بالنوم والمنومات .. علاجاً للبشرة وما تحت البشرة أيضاً !



وجهة النظر الأخرى ضرورة

إنني أمقت هذه المناقشات التي بين الأدباء والفنانين والنقاد والتي تنتهي بأن يقول أديب هذه العبارة المغرورة السخيفة : مثل هذا الكاتب يجب أن تمنعوه من الكتابة ؟ ! !

فلمن يقولها ؟

إنه يطالب — طبعاً — من الدولة أن تمنع أديباً من أن يقول رأيا .. وجهة نظر .. لماذا ؟ لأن هذا الأديب يختلف معه فى الرأى .. له وجهة نظر أخرى لا تعجبه ! أليس من المفروض أن تكون هناك وجهة نظر أخرى ؟ أليس من المفروض أن تكون هناك وجهات نظر ؟ وما دامت هناك وجهات فلماذا لا تكون هناك نظرات ونظريات ؟ ومادامت هناك نظرات فلماذا لا تكون هناك وجهات وجيهة ؟ لماذا تكون هناك وجهة واحدة ونظرة واحدة هى التى يختارها هذا الأديب الذى يطالب بمنع من يخالفه فى الرأى ؟

إننى أرى مثل هذا الأديب مغالطاً . لأنه لا يرى إلا نفسه . وإلا رأيه . وهو مغرور ، لأنه يتصور أن نظرته نظرية .. ونظرية وحيدة .

وهذا الأديب مضلل لأنه عندما يرفع نبرته فى النقاش يوهم القراء بأنه أديب وحيد وبأنه سلطة . وهو بذلك يصبح أديباً إرهابيا يرفع صوته ليخيف ، كأن التخويف يقضي على الفكر . وكأن ظهور رأى واحد صارخ معناه أنه لا توجد آراء أخرى .. إن مثل هذا الأسلوب

هو الذى يجب أن يناقش ، وأن يناقش كثيراً ، لأنه ظاهرة خطرة ، وظاهرة مريضة متوحشة همجية ، فهو يدعو إلى الإرهاب الفكرى ، أو الإرهاب الذى يقضى على الفكر ، أو الإرهاب بلا فكر !

ومثل هذا النوع من الأدباء يحلم بأن يكون سلطة ، فإذا كانت له سلطة قضى على كل من يخالفه فى الوجهة والنظرة ، مع أنه إذا كان يريد لنظرته أن تعيش وأن تنتشر ، فالمناقشة تحييها ، وإطلاق الأضواء الكثيرة عليها وحولها ينعشها.. ويضىء بها ... ويضىء لها ... وليس إلقاء الضوء على فكرة هو رميها بالجمرات حتى تموت .. وليس إلقاء الضوء كإلقاء النار ، أو كإلقائها فى النار ..

فاختلاف الرأى لا يضر ، وتعدد وجهات النظر شىء مفيد .. ولا يصبح الرأى قوياً إذا انعدمت الآراء الأخرى ، ولا تصبح وجهة النظر سليمة ، إذا تلاشت كل الوجهات والعيون .. وإنما الرأى القوى هو الذى يكون قوياً رغم وجود آراء أخرى .. أو ربما بسبب وجود آراء أخرى !



السلام
ولعب الأطفال

نحن نعيش فى عصر ينقصه اللعب والمرح ، فالناس أعصابهم متوترة ولذلك فهم مرهقون ويحاولون أن يشدوا حيلهم بالقوة : بالمنبهات ويستريحوا بالقوة : بالمنومات . . والنتيجة أن الناس فى حالة نصف يقظة ونصف نوم .

وليس الرجال وحدهم فى حاجة إلى راحة ، ولكن الأطفال أيضاً ، فالطفل نعلمه ليكون رجلا فى سن مبكرة ، أى أننا نعلمه أن يختصر مرحلة الطفولة وينتقل إلى الرجولة بسرعة . والرجولة معناها : أن يكون مسئولا ، وأن يختصر ساعات اللعب ويضيفها إلى ساعات العمل . والعالم كله ينظر إلى الطفل اليابانى بحسرة ، فهذا الطفل عنده كل أنواع اللعب الغريبة والعجيبة ، واليابان نفسها تصدر اللعب للعالم كله .

ولقد رأيت اليابان ، ورأيت الطفل اليابانى ، ولا أعتقد أنه سعيد ، فهو يلعب بأصابعه الصغيرة فى آلات رائعة ، ولكن هذا ليس لعباً صحياً . إنه نوع من اللعب (العلمى) ، فالطفل يلعب ويدرس فى نفس الوقت ، ولذلك يقوم بتشغيل عقله الصغير على المخترعات العلمية الباهرة . وهذه اللعب هى صواريخ ومدافع وطائرات وغواصات وأجهزة إلكترونية . فهذه اللعب نفسها تجعل الطفل يتحول بسرعة إلى رجل صغير . وعيب هذه المخترعات الصغيرة أنها تجعل الطفل لا يفزع من المدافع والطائرات والقنابل ، وإنما يرى فيها مجرد تسلية ، فإذا كبر ظلت هذه نظرته وفكرته . فهو لا يخاف من المدفع إذا كبر

أى إذا هو كبر ، وإذا المدفع كبر ، ولذلك لا يخاف من الخلاف بين الأطفال إذا تحول إلى حرب بين الكبار ..

وأنا لا أقارن بين الطفل المصرى والطفل اليابانى ، ولكن من المؤكد أن الطفل المصرى ليست عنده هذه اللعب التى يملكها اليابانى .
وعندما يتفسح الطفل عندنا ، فهو يلعب فى الشارع ، أو يلعب فى المدرسة ، أو يذهب إلى السينما ليتفرج على الكرتون .. وإذا كبر فإنه ينتسب إلى أحد الأندية الرياضية .

ولكن الطفل الذى يهمنى هو الصغير جداً . ونحن فى مدينة القاهرة لا توجد عندنا حدائق للأطفال ، لا توجد عندنا هذه الجنة الصغيرة التى يرى فيها الطفل الحياة فى أوراق الشجر وفى الزهور والثمر ، وفى الطيور التى تمشى على الأرض ، ولا تخاف منه ولا يخاف منها . ولا أظن أنه توجد حدائق للأطفال فى المحافظات ، وكنت أتمنى من وزير الزراعة ، أن يكون رائداً فى هذا المجال الحيوى ، فيحول حديقة الأورمان ، إلى حديقة للأطفال يرون فيها الحياة الخضراء ، ويحبون الحياة ويحرصون عليها — على حياتهم وعلى حياة غيرهم . فإذا تحولت حديقة الأورمان إلى جنة للأطفال تحولت حدائق أخرى فى العواصم إلى ملاعب للأطفال ، ملاعب صحية . وأطفال العالم كله يلعبون . وليس المهم أن يلعبوا ، لكن المهم أن يلعبوا بشىء صحى . فاللعب فى الغرف المقفلة بالأجهزة العلمية مفيد عقلياً ، ولكنه ضار صحياً ... ضار بصحة الفرد ، وضار بصحة المجتمع وبالإنسانية .
فالصحة الفردية والاجتماعية هى أن يحرص الإنسان على السلام . لأن السلام هو الحياة . وهذا المعنى العام نغرسه فى نفوس الأطفال وهم يلعبون فى الهواء والشمس ، لا وهم يلعبون بالنار !

أصوات
غير مسموعة

كم عدد الأصوات الغنائية التى عندنا ؟ إنها فى مثل عدد أغنام جحا . عددها معروف . وهى أصوات متشابهة .. ومعنى ذلك أنها متقاربة . أى قليلة . لذلك « يشمشم » الناس على الصوت الجديد . أى صوت . وربما كان هذا سر الاهتمام بمطرب مثل فهد بلان . إنه صوت قوى مختلف سليم : مرح الأعطاف حلو اللفتات !

ولا تستطيع المعاهد الفنية أن تخلق الأصوات . وإنما فى استطاعتها أن تدرب الأصوات وتثقفها إذا اكتشفتها .. والذى تستطيعه هذه المعاهد ما يزال قليلا ..

وقد شاركتُ اللجنة التى تمتحن أصوات المذيعين والمذيعات من خريجى الجامعات . والنتيجة قطعاً سيئة ومحزنة . السبب ليس معروفاً .. فلا يوجد صوت مسموع . ولا يوجد نطق عربى سليم . ولا دراية بمبادئ النحو والصرف . وأسوأ من هذا كله : أن معظم الفتيات لا يعرفن كيف ينطقن حرف القاف . وليس حرف القاف وحده . وإنما القاف وأخواتها مثل الطاء والظاء والثاء والدال واللام، والسين . وإذا أفلحت واحدة أو واحدى نطق الحروف نطقاً واضحاً فإن الكلمات تكون قد التوت فى الحلق وداخت بين اللسان الأسنان . حتى تخرج فى النهاية جثة هامدة يشيعها الميكرفون إلى الآذان !

لماذا ؟ لأن تدريس اللغة العربية ليس صحيحاً . لأن المطالعة الصحيحة

ليست من العلوم الأساسية . لأن حفظ القرآن — القرآن بالذات ، وهذا أحسن نموذج للغة والقراءة السليمة — ليس إجبارياً . ولا توجد هناك عناية واضحة بحفظ الشعر . ليس بحفظ الشعر فقط ، بل بإلقاء الشعر . وقد يتبادر إلى الذهن أن الطلبة الذين يتخرجون فى أقسام اللغات الأوربية يحسنون نطقها ، ولذلك ينصرفون عن اللغة العربية إلى اللغات الأخرى . حتى هذا ليس واضحاً . فإن معظم الذين تقدموا للإذاعة الأوربية لا يعرفون النطق الصحيح .. والأسباب متشابهة فى جميع الحالات : لا عناية بالنطق السليم !

إن النطق السليم والأداء السليم يشبهان « المشق » أو الكاليجراف . والمشق هو ذلك النموذج من الخطوط الجميلة التى يتدرب عليها التلميذ فى كل مراحل التعليم .

والتدريب على النموذج الجميل هو تعويد لليد أن تسير وفقاً للقواعد تماماً ، كما يتدرب الصوت على النماذج السليمة فى النطق وإخراج الكلمات وتوزيع إخراجها من الحلق أو من الأنف أو من بين الأسنان . . ولكن الذى سمعناه — بصراحة — كان نوعاً من « قرطسة » الأصوات .. أى لفها فى قرطاس لب ثم رميها على آذان الناس .. وهناك — ولاشك — عذر آخر للطلبة والمستمعين جميعاً .. هو أن معظم أصوات المذيعين فى الإذاعة رديئة وركيكة ومهلهلة . وهى ولاشك نماذج سيئة تشجع أى إنسان على أن يذهب إلى الإذاعة ويدخل إلى الاستديو ويتكلم على الهواء ويقول بملء فيه : اشمعنى !

ولا يكاد أعضاء اللجنة يستمعون إلى صوت معقول حتى تعتدل مقاعدهم ويطلبون إليه أن يعيد ويزيد كأنه أم كلثوم : والله كمان .. أعد .. من الأول .. !

ومن أربعين صوتا لم تسترح الأذن إلا إلى صوتين أو ثلاثة !

نفاية المجتمع

عواجيز الفرح : هم طراز من الناس موجود فى كل فرح . ومن آمالهم أن يتحول الفرح إلى مأتم .

وحتى لو تحول إلى مأتم لتحول عواجيز الفرح إلى « عواجيز المأتم » واقالوا أيضاً : والتكاليف دى لزمتها إيه ؟

إذن هم نوع من الناس لا تعجبهم الأفراح ولا تعجبهم المآتم . فلا يعجبهم أى شىء ، ولا يسألون أنفسهم : ما العمل ! ما ضرورة وجودنا ؟ ما قيمتنا فى هذه الحياة ؟ أى دور لنا ؟

إن الصفة الوحيدة لهؤلاء العواجيز هى أنهم لا يغلطون .. والذى لا يغلط هو الميت أو الذى لا يعمل . والذى لا يعمل طرفا فى أى موضوع ولا أية قضية ، والذى ليس طرفاً من أطراف الحياة الاجتماعية ، ليس حيا .. فهؤلاء العواجيز هم (نفاية) اجتماعية .. هم (أعقاب سجاير) الأحياء .. إنهم هامشيون ..

وليس من الضرورى أن يكونوا عواجيز فى السن ، وإنما من الممكن أن يكونوا عواجيز الروح .. عواجيز الأمل .. عواجيز الكفاح ..

إن مثل هذا النوع من العواجيز الشبان عالة على المجتمع .. آفة فى حقول الأمل الإنسانى .. عاهة فى الجسم السليم لمجتمعنا الشاب..

إنهم أناس تعرفهم فى كل مكان .. إنهم يتفرجون على الذين يعملون ويشتمونهم .. ويسخرون من دموعهم . لأنهم يرون أنه لا العرق ولا الدموع هى إكسير الحياة .. وإنما إكسير الحياة هو

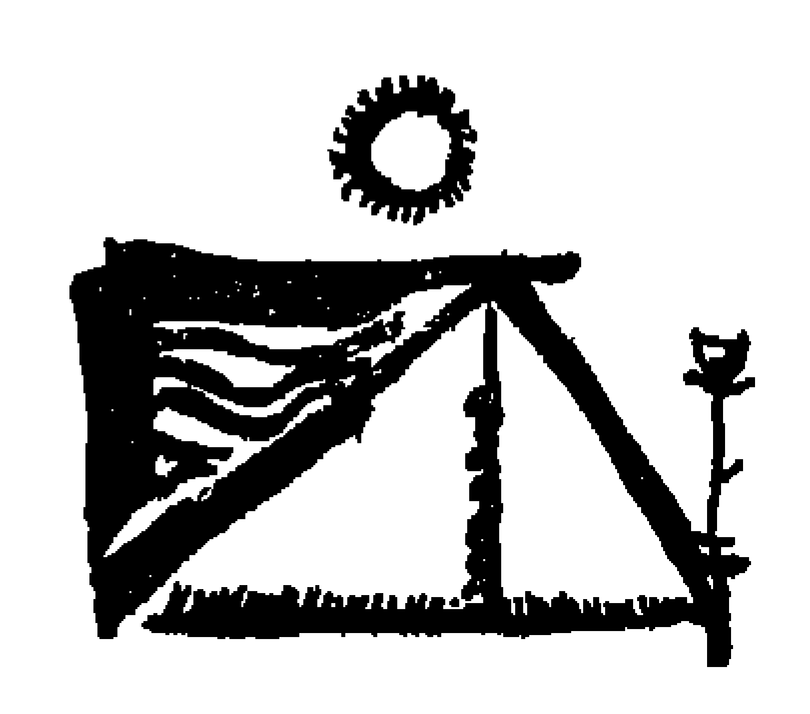
التواكل والوصولية والسلبية والسخرية من كل من يقيم فرحاً أو مأتما .. من يكسب شيئاً أو يخسر شيئاً .. إنهم يسخرون من العواطف الإنسانية ومن معنى الحياة ، ومن أن يكون للحياة معنى ، وأن يكون للمواطن هدف ، ومن أن يكون للوطن كله هدف ..

إن الحقيقة الواضحة للتسامح الاجتماعى عندنا هى أن نجد هؤلاء العواجيز فى كل مكان ، فى كل موقع من مواقع العمل وعلى كل مستوى . وهم مع ذلك يجدون اللقمة الساخنة والشراب المثلج والكرسى المريح ، ويجدون من يؤكد لهم أنهم أعمدة الحياة الإدارية وعتبة الجنة ..

ولكن النباتات المتسلقة لا تعيش إلا « على » الأشجار .. واللصوص لا يعيشون إلا « على » الأبرياء .. إن هذا الطراز من الناس يعيشون « على » الغير . ولا يعيشون على عرقهم هم وأرقهم هم . ونحن اليوم نعمل — يجب أن نعمل — بكل ما لدينا من طاقة ووضوح رؤية على استئصال المتسلقين والمتسللين والمتفرجين والشامتين : عواجيز كل فرح وكل مأتم !

ومنذ ٣٥ سنة كتب طه حسين فى الصفحة الأولى من أحد كتبه : أهدى هذا الكتاب إلى الذين لا يعملون ويغيظهم أن يعمل الناس !

وأستأذن طه حسين فى استعارة هذا الإهداء لنبعث به جميعاً إلى الذين لا يعملون — ومع ذلك يعيشون — فى مجتمع العمال والفلاحين !



أنت تبحث
عن المتاعب

ليس صحيحاً أن الإنسان يحب الراحة . فالإنسان يفعل الكثير من الأشياء التي ترهقه في حين أنه في الحقيقة يريد أن يستريح .. فالذي يشكو الأرق لا يتوقف مع ذلك عن شرب القهوة والشاي — أنا مثلا !

والذي يشكو من تعب في عينيه لا يكف عن الجلوس أمام التليفزيون ، ولا يكف عن تناول المشروبات الباردة التي تسبب له الإمساك الذي يسبب الصداع ووجع العينين !

والذى يتعب من التدخين لا يكف عن السجائر . وفى استطاعتك أن تنظر إلى كل أصدقائك ، فتجد أناساً يلعنون السجائر ، والذى اخترع السجائر ، والذى اكتشف السجائر .. ومع ذلك لا يتوقفون عن التدخين !

وهذا يشكو لك من ضيق الحال وقلة المال وكثرة العيال .. لو نظرت إلى أصابعه فسوف تجد فيها سيجارة لا تنطفئ ، إلا في سيجارة أخرى !

وهذا يشكو من كثرة الأفواه في بيته .. الزوجة وخمسة من الأولاد وسيدة أخرى تعمل في البيت .. فعلا هذا عدد كبير على أى إنسان مهما كان دخله .. ولكن ما الذى أرغمه على أن يكون له كل هذا العدد ؟ الذين لا يقول ذلك ! وتسأله فيقول لك : أمر الله !

ولا اعتراض على مشيئة الله .. ولكن الله أعطى الإنسان مشيئة أيضاً .. وهذه المشيئة مربوطة في عقله ، وعقله يقول له على « قد لحافك

مد رجليك ».. واللحاف صغير والأرجل طويلة وكثيرة .. إنه لا يريد أن يستريح .. إنه يريد أن يجد مبرراً للشكوى والبكاء !

ونحن فى المدن نشكو من أن أعصابنا مرهقة . . فما الذى نفعله لكى تستريح هذه الأعصاب؟ إننا نذهب إلى أفلام الرعب والأشباح والدم والموت .. نتزاحم بالمئات لكن نجد مكاناً أمام شاشة تسيل فيها الدماء وتمزقها الصرخات وترتادها الأشباح والعفاريت .. لماذا ؟ لأننا نريد أن نخاف .. لأننا نريد أن نصاب بالفزع والرعب .. لأننا نريد أن نستريح فنفعل ما يضاعف من متاعبنا !

فليس صحيحاً أننا نبحث عن الراحة .. إننا نبحث عن التعب وعن الشقاء والعذاب دون أن ندرى !



مجتمع اليتامى

سوف يزداد عدد النساء العاملات . وسوف يزداد عدد الأطفال الذين يشعرون بأنهم يتامى . فليس اليتيم هو الذى مات أبوه وأمه . ولكن اليتيم هو الذى له أب وله أم . ولكنه لا يشعر بهما .. يريانه ولكن لا يلمسانه .. يلمسانه ولكن بلا حنان . فليس هناك وقت للحنان — فلا هما موجودان بالنسبة له . ولا هو موجود بالنسبة لهما !

فالمرأة تتعلم . وبعد ذلك تعمل .. والمجتمع الذى تعمل فيه المرأة هو مجتمع من صنع الرجل . فالرجل قد سبقها إلى العمل . وسبقها إلى وضع قوانين العمل وتقاليد العمل وأساليب النجاح فى العمل . وهو الذى وضع فلسفة النجاح فى الحياة أيضاً .

ولايزال الرجل يشعر بأن المرأة العاملة غريبة دخيلة . ولاتزال المرأة العاملة تشعر بأن الرجل قد سبقها وتقدم عليها .. ولكنها مصرة على أن تعمل . مهما كلفها العمل من تعب . ومهما أبعدها واجبها الطبيعى فى أن تكون أماً وأن تكون ست بيت . ولن تتوقف المرأة عن العمل خارج البيت . وعن العمل فى البيت أيضاً .

فاشتغالها خارج البيت لم يخفف عنها متاعب البيت كزوجة وأم ..

والمرأة المتعلمة ترفض أن تتولى « الشغالة » تربية أطفالها الصغار . ولذلك فالأم المتعلمة تحب أن تعلم أطفالها .. ولكن لأنها عاملة ، فليس عندها متسع من الوقت لتربية الأطفال . وهى لذلك لا تنجب إلا عدداً قليلا من الأطفال .

ولأن الرجل ليس عنده متسع من الوقت لأطفاله . ولأن المرأة

أيضاً ليس عندها متسع من الوقت لأطفالها . يتعجل الاثنان — والمجتمع كله — أن يدخل الطفل مرحلة الرجولة فيعتمد على نفسه فى سن مبكرة . ويتوقف عن اللعب واللهو فى سن صغيرة .. وأن يتهيأ للدراسة والحياة العملية فى سن الحضانة .

وقد أدرك كثير من الدول الصناعية أن مرحلة الطفولة عند الطفل قد اختصرت . ولذلك اهتمت بمدارس الحضانة — أى المدارس التى يستأنف فيها الطفل طفولته . وتقوم المدرسات بدور الأم والأب معاً — فليس هناك متسع من الوقت لكى تقوم أمه بدور الأم ، وليقوم أبوه بدور الأب ؟

وبعض علماء النفس يفسرون اللعب واللهو والترويح من الدراسة ومن العمل عند الشبان والرجال بأنهم حرموا الطفولة عندما كانوا أطفالا .. ويفسرون انحراف الشبان وزواجهم فى سن مبكرة فى أمريكا وأوربا بأن هؤلاء الشبان قد حرموا حنان الأم فى سنواتهم الأولى .. ولذلك راحوا يبحثون عن زوجات يقمن بدور الأمهات ..

ولابد أن يجىء ذلك اليوم الذى يشعر فيه المجتمع بحاجته الشديدة إلى الأمومة وإلى الأمهات . فيعطى المرأة وقتاً أطول لكى تكون أماً ، ولكى تساهم فى إنقاص عدد اليتامى — الذين يشعرون بكراهية الأسرة والمرارة فى مواجهة العائلة الإنسانية كلها !



جريمة المتاعب العائلية

ربما كانت كوارث الحروب والأوبئة هي التي جعلتنا نستهين بكوارث السيارات . فنحن الآن نرى أن الحروب شر ، يهون إلى جواره أي شر آخر . ولو كان هذا الشر الآخر هو حوادث السيارات ؛ مع أن الذين يموتون تحت عجلات السيارات أكثر من ضحايا الحروب . ففي أمريكا — مثلا — مات سنة ١٩٥١ حوالى مليون شخص ؛ وفي سنة ١٨٩٩ مات شخصان فقط ؛ وفي إنجلترا سنة ١٨٩٦ مات شخص واحد ؛ وأول حادث قطار في العالم كله كان سنة ١٨٣٠ عندما داس القطار رجلا كان يعمل نقيباً لعمال الشحن . وعلى أثر حادث القطار هذا أقيمت أرصفة المحطات . ولكن حوادث السيارات لم تؤد إلى مثل هذا الإصلاح السريع.. فما تزال الشوارع التي تنطلق فيها السيارات ضيقة مخنوقة . لأنها كانت خاصة بعربات الكارو والخيول !

وبما أن الإنسان حيوان اجتماعي ؛ فالسائق أيضاً حيوان اجتماعي ؛ والمشاة حيوانات اجتماعية ، وإصراري على استخدام كلمة « الحيوان » هنا : أنها صفة يطلقها السائقون على المشاة ؛ ويرد بها المشاة على السائقين !

ولاشك أن المتاعب في البيت وفي العمل لها أثرها على السائق وعلى الماشي أيضاً . فالمتزوجون أقل حوادث من العزاب . والمطلقون أكثر حوادث من الجميع . والمرأة أقل حوادث من الرجل . وأكثر

السائقين تعباً هم سائقو التاكسى واللوريات . فالسيارة بالنسبة لهم ليست مكاناً للنزهة . وإنما هى دكان متحرك . ورشة . هى « الشغل » الذى يقصده عندما يجيب عن سؤال : إلى أين ؟ فيقول إلى الشغل .. ولكن من المؤكد أن الحالة النفسية والاجتماعية والجسمية والصحية للسائق أو الماشى هى العامل الرئيسى فى هذا الحادث الأليم .. ولابد أن السائق الذى رفع رجله عن الفرامل بدلا من أن يضغط عليها . قد تعب فى البيت من ضغط أعصابه .. تعب من ضغطه على فرامل أعصابه .. وفجأة رفع رجله عن الفرامل فى البيت وثار وشتم وطفش .. وعندما ركبه السيارة رفع – لا شعورياً – رجله عن الفرامل .. تماماً كما فعل فى البيت .. وكل الناس الذين فى الشارع قد جاءوا من بيت أو من بيوت !

ومن المؤكد أن المتاعب العائلية تنعكس فى « الشغل » فيموت بسببها أناس فى الطريق .. فالسيارة مسدس فى يد السائق ولكن الرصاص قد تمت تعبئته فى مكان آخر !



الرجل
ليس أباً بالغريزة

المرأة أم بالغريزة ، والرجل أب بالممارسة !

فالطفلة وهى صغيرة تلاعب عروستها وتتحدث إليها ، وتبكى من أجلها أيضاً ، وتنقل عدوى مشاكلها إلى العروسة : فإذا كانت الطفلة « زعلانة » من أمها فالعروسة « زعلانة » أيضاً . وعن طريق هذا « الحوار » بين الطفلة والعروسة يمكن معرفة مشاكل ومتاعب الطفلة نفسها .. والطفلة أم قبل أن تعرف معنى الطفولة أو الأمومة ، وقبل أن تعرف ما هو الفرق بين الذكر والأنثى ، ولا من أين يجيء الأطفال ..

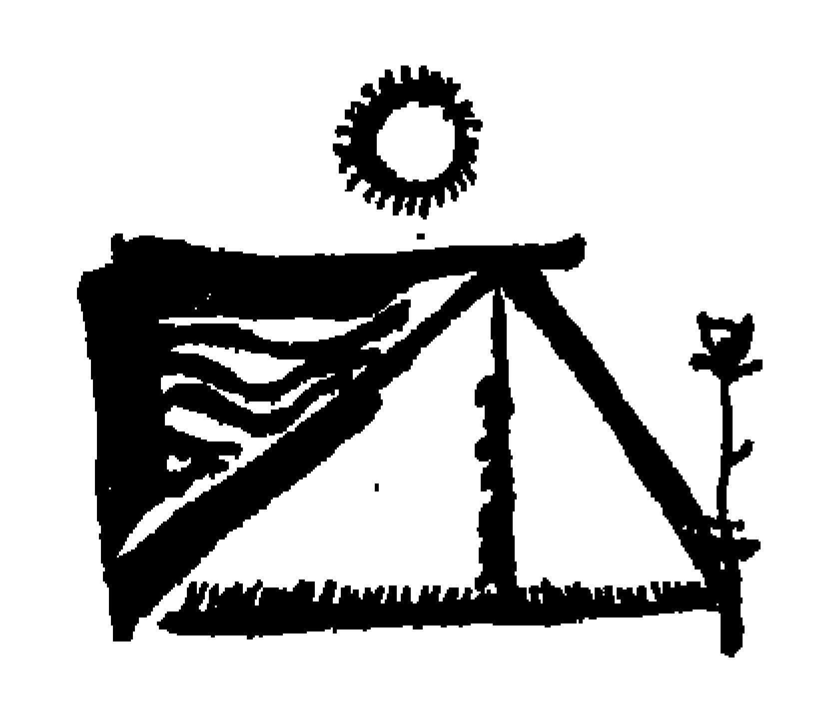
أما الرجل فليس أبا بالغريزة . فهو عندما يكون طفلا يلعب بالحصان والمدفع والطائرة ويبنى البيوت والكبارى . والمجتمع يدفعه إلى أن يكون مختلفاً عن الطفلة ، لأنه مختلف . ويجب أن يكون مختلفاً عنها . ولو اهتم طفل « بعروسه » لا نزعج الأب أو الأم ، وتبتروا فوراً على هذه الجريمة — وهذا يحدث كثيراً عندما يكون الطفل وحيداً بين عدد من الأخوات البنات ..

وعندما تكبر المرأة تعلم أن الأبوة ليست غريزة عند الرجل . ولذلك تحاول دائماً وفى استماتة — أن تربط الرجل بالبيت . وبكل ماله علاقة بالبيت ، وأن يبقى فى البيت أكبر وقت ممكن . وأن تعمق لديه الشعور بالغلط والذنب والألم والخيانة إذا هو ابتعد عن البيت .. أى إذا ابتعد عن الزوجية وعن الشعور بأنه زوج . وبأنه سوف يكون أباً .

فإذا أنجبت زوجته طفلا . وهنا فقط يهتز كل وجود المرأة :

جسمها ونفسها وتاريخها من أجل الإبقاء على هذا الطفل ، وتوفير الراحة والسعادة له فى رعاية هذا « الأب» أى فى رعاية الزوج الذى لم « يشعر » بعد بأنه أب . فكل امرأة تريد أن تكون أمًّا ، وأن يكون ابنها من رجل تحبه . فهى تريد أن تتكرر صورة الرجل الذى تحبه فى أطفالها منه . أما الرجل فهو يحلم عادة بأن يكون أباً ؛ فإذا كان أباً فهو لا يريد أن يكون أطفاله صورة مكررة للزوجة التى أحبها .

وأقسى مهمة للزوجة هى أن تجعل زوجها يشعر بأنه أب . ولذلك ومنذ اللحظة الأولى : تربط بين المولود وبين والده . تجد صفات مشتركة بين الاثنين : العينان والأظافر والأنف وحركة الفم وحركة الرجلين .. وكل يوم تتجدد هذه الصفات ، وكل يوم يكتشف الرجل أنه موجود فى هذا الطفل الصغير .. وأنه شخصيًّا هذا الصغير ، ويتعلق به ويرتبط به .. وبالتدريج يتحول الزوج إلى أب . وإلى أب يحب طفله بعنف : لأنه يحب نفسه فى هذا الطفل .. يحب طفولته فى هذا الطفل . ويتمنى أن يكون هذا الطفل أسعد حالا منه .. وهنا فقط تطمئن الأم على أن زوجها قد أصبح أباً .. بالممارسة، ثم أبا بالعاطفة .. وتصبح العاطفة قوية عند الأب حتى يقتنع أنه أب بالغريزة أيضاً !



حتى الحق يحتاج إلى دليل

لا يكفى أن تكون على حق لتكسب حقك . وإنما أنت محتاج إلى أن تعرف حقك وتفهمه . ثم تشرحه وتقنع به الناس . ثم تدافع عنه إذا أخذته . لأنه من الممكن أن يضيع منك .. وأقوى نموذج لهذا هو أن بلادنا لنا . هذا حق . ولكن كم سنة من عمرنا أمضيناها نقول هذه العبارة ونشرحها ونقنع بها ونثور من أجلها حتى خرج الإنجليز من بلادنا ، وأصبحت أرضنا لنا ؟

وفى حياتنا العادية نحتاج أيضاً إلى أن ندافع عن حقوقنا . ومهنة المحاماة دخلت التاريخ لهذا السبب : أى لشرح حقوق الناس والدفاع عنها .

ولكن ما الذى يملكه إنسان من أدلة إذا قال إنه رأى حصاناً له ست أرجل . ثم لم ير الناس هذا الحصان ؟ ما الذى يملكه إنسان من أدلة إذا قال إنه رأى بحراً نصفه نار ونصفه الآخر ثلج . ثم لم يملك أن يأتى بصورة واحدة لهذا البحر ؟

وقد وقع كولومبوس فى هذا المأزق ، فعندما رجع إلى إسبانيا بعد أن اكتشف أمريكا ملأ سفينة بعينات من كل شىء رآه : من الناس والحيوانات والنباتات والمعادن .

ولكن إيزابلا ملكة إسبانيا سألته : أنت تقول إن البلاد التى اكتشفتها تربتها حمراء ... فهل هذا معقول ؟

طبعاً معقول جداً ، ولكن كولومبوس نسى أن يأتى بحفنة تراب من أمريكا . مع أنه لو فتح أحد صناديقه وأخرج منها حذاءه لوجد

بعض التراب عالقاً به . ولكنه لم يستطع أن يرد على الملكة بكلمة . وخرج حزيناً كأنه لم يكتشف العالم الجديد . وكأنه لم يأت بألف دليل على صحة ما رآه !

ولابد أن كولمبوس عندما رجع إلى أمريكا مرة أخرى قد شحن سفنه تراباً يملأ به عين الملكة !

ومنذ مائة سنة أقيمت ندوة فى لندن من علماء الجغرافيا الساخطين . وسبب سخطهم أن الرحالة «سبيك» أعلن أنه اكتشف منابع نهر النيل . وأن منابع النيل هى بحيرة كبيرة . وكان هذا الرأى صدمة للنظرية الشائعة فى ذلك الوقت بأن النيل ينبع من الجبال مباشرة . وأنه يمر بمستنقعات واسعة جداً قبل أن يعتدل فى مجراه متجهاً إلى مصر .

وتزعم علماء الجغرافيا الرحالة ريتشارد برتون . وذهب العلماء وانتظروا . ولم يأت الرحالة سبيك . نصف ساعة . ساعة .. ودخل رجل مسرعاً ليهمس فى أذن زعيم الساخطين : لقد انتحر سبيك !

انتحر لأنه لا يملك أى دليل مادى على وجود بحيرة فكتوريا . لا صور ولا خرائط .. فلم تكن الطائرات قد ظهرت ، ولم تكن الكاميرات تتدلى منها . إنه رأى البحيرة فقط . وكولمبوس رأى الأرض الحمراء . وكلاهما رأى الحقيقة ، وكلاهما صاحب حق .. ولكن أين الدليل ؟

لا دليل . ولكن الأجيال التالية أكدت أنهما عرفا الحقيقة .. وأن الموت حقيقة أيضاً .. ولكن الموت هو الحقيقة التى تحرم الإنسان من أن يفرح بالحقيقة التى اكتشفها ولم يعرفها أحد من الناس !

الهدف والوسيلة

الطريق إلى الهدف طويل .. ويجب أن يكون طويلا .. وهو صعب ، ويجب أن نصبر عليه .. وإلا فلن ننجح فى أى علم أو فن !

هل تعرف ما الذى تتعلمه راقصة الباليه قبل أن تحرك ساقيها ؟ ليس الرقص ولا نط الحبل .. ولا الوقوف على أطراف أصابعها ، ولا أن تدور حول نفسها كأبواب الفنادق .. وإنما أول شيء هو أن تتعلم كيف تتنفس .. كيف تسحب الهواء وكيف تحتفظ به .. ثم كيف تزفره بحساب !

هل تعرف ما الذى يتعلمه الطالب ليكون مطرباً .. ليس الغناء ، ولا حفظ الأدوار والطقاطيق.. وإنما أول شيء يتعلمه هو كيف يطلق أصواتاً بلا حروف .. كيف ينطق كلمات بلا معنى .. وبعد ذلك يتعلم كيف يسمع قبل أن يسمعه الناس !

ولكى يتعلم الإنسان الكتابة يجب ألا يكتب أولا .. ولكن أن يقرأ أولا .. وأن يقرأ ثانياً ؛ وأن يستمتع بما قرأ ثالثاً ، وأن يكتب بعد ذلك . فلكى تكتب يجب أن تقرأ ما يكتبه الآخرون .. ولكى ترسم يجب أن تتفرج على ما يرسمه الآخرون .. فالإنسان لا يعيش على تجاربه وحده ، وإنما يعيش على تجارب الآخرين .. وبعد ذلك على تجاربه .. والشمس لا تعلمنا أبداً كيف نرسمها ؛ ولكن لوحات الفنانين هى التى تعلمنا كيف نرسم الشمس ..والأهرامات لا تعلمنا كيف نرسمها ؛ ولكن لوحات الفنانين هى التى تعلمنا كيف نمسك الفرشاة وكيف

تخلط الألوان وكيف تراعى النسب .. ومن هذه اللوحات نتعلم معانى الجمال وأصول الفن !

ولكى يكون الإنسان فصيحاً بليغاً لا يبدأ يتكلم ليلا ونهاراً لنفسه ولغيره.. وإنما يبدأ يتعلم كيف يستمع للآخرين .. ويدرك بحرص وانتباه كيف ينطقون . وكيف يعبرون عن أنفسهم .. فالمتكلم الفصيح هو الذى استمع إلى الآخرين طويلا ، ثم تكلم بعد ذلك !

فكل شىء له أصول .. وهذه الأصول . مثل البذور بعيدة وعميقة .. لأنها بعيدة ، فالطريق الذى يبدأ منه طويل وشاق.. وكثيرون تعبوا فى أوائل الطريق . وفى منتصف الطريق . . ولكن الإنسانية تدين بتقدمها لكل الذين بدءوا بالتنفس .. بدءوا من البداية وصبروا حتى النهاية !



الواقعية الخيالية

هناك نظرية جديدة اسمها « الواقعية الخيالية » ومن أهم أفكارها :

أنه لا يوجد أى دليل علمى على أن الأرض هى الكوكب الوحيد المسكون بالكائنات العاقلة .

ولا يوجد أى دليل على أن الحضارة الإنسانية التى بدأت فى أواسط أفريقيا من نصف مليون سنة ، هى الحضارة الوحيدة التى ظهرت على سطح الأرض ، وربما كانت هناك حضارات أخرى ظهرت وانقرضت ، أنهت الحياة وبدأت بشكل آخر .

ولايوجد أى دليل علمى مقنع على أن الإنسان أصله قرد . ولا يوجد أى دليل علمى يمنع القرد أن يصبح إنسانا ، ولا أن يصبح الإنسان قرداً بعد ذلك !

ولا يوجد أى دليل علمى واضح عن الكيفية التى بنى بها الفراعنة أهرام الجيزة.. ولا دليل . والأقرب إلى العقل – الآن – هو أن كائنات أخرى هبطت من الأفلاك المسكونة وساعدت الفراعنة على بناء الهرم خصوصاً أن هذا الهرم يعتمد على نظريات هندسية وفلكية ناضجة ظهرت فجأة وليست لها أية مقدمات فى الحضارة المصرية أو فى الحضارات الأخرى !

ولا يوجد أى تفسير علمى واضح لمعنى النقوش الموجودة فى كهوف الصحراء الغربية فى الجزائر وفى مالى وموريتانيا لرجال عمالقة وإلى جوارهم عدد من الأقزام الزنوج . وهؤلاء العمالقة أناس

من كواكب أخرى . نزلوا إلى الأرض : فعبدهم سكان الأرض ، ثم سجلوا ذلك على الحجر !

والعلم الحديث لا يستبعد الآن أن يكون البحر الميت . وغيره من البحيرات الصغيرة المقفلة أماكن هبطت فيها سفن من الفضاء الخارجى .. وتركت هذه الفجوات دليلا على ذلك !

وفى أوربا الآن عدد كبير من المفكرين والأدباء والفنانين يؤمنون إيماناً مطلقاً بأنه من الممكن أن تكون أرواحنا هذه قد انتقلت من أجسام أخرى ماتت . . أجسام حيوانات أو أجسام بشر أو أية كائنات أخرى عاقلة أو نصف عاقلة .

إن العلم الحديث يؤكد أن كل ما هو مادى هو شىء ثانوى . وأن ما هو « روحى » أو معنوى هو الحقيقى. فكل مادة يمكن تحويلها فى ثانية إلى طاقة . . إلى ضوء . . إلى شىء غير مادى . ولا يستطيع إلا الله وحده أن يحول الطاقة إلى مادة . . أن يحول قطعة الورق التى احترقت إلى ما كانت عليه قبل الاحتراق .. والله أعلم !



الغرور أقوى

الغرور : نقطة ضعف أى رجل . ولا يوجد رجل واحد أقوى من الغرور .. ومن الممكن أن يضيق الرجل بالذين ينافقونه ، ولكنه لا يكرههم .. ومن الممكن أن يتظاهر الرجل بأنه يحب الصراحة ، ولكنه لا يمكن أن يحب الذين يصارحونه بحقيقته . ويصارحونه بوزنه وحجمه وأبعاده الحقيقية .. ولا رجل !

هل تتصور أن عالماً عظيماً مثل فرويد يقع فى غرام واحدة .. إنها واحدة قالت له بصراحة : أنت غبى !

وهذه الفتاة الجميلة اسمها سالومى .. وقد دوخت أشهر الرجال والفلاسفة فى أوربا كلها .. واستطاعت أن تبقى بعيداً عن أيدى كل عباقرة أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين . أحبها الفيلسوف نيتشة برغم كراهيته لليهود .. وأحبها الشاعر ريلكة برغم كراهيته للشعر الأسود وقد أحب بعدها الفتاة المصرية الجميلة نعمت علوى ، ولكنه لم ينس سالومى .

وقد اعترضت هذه الفتاة الجميلة المثقفة حياة عالم النفس الكبير فرويد .. وفرويد كان أعظم شخصية ظهرت فى أوائل القرن العشرين . فهو الذى هز أركان النفس الإنسانية .. وأعاد الإنسان إلى أصله الحيوانى . فهو الذى رأى الطفل فى كل رجل .. ورأى الوحوش فى كل طفل . . ورأى الكهف والظلام فى كل بيت . . وهو الذى رأى الحرام فى رضاعة الطفل .. ورأى الجنس فى وضع السيجارة بين الشفتين ، وهو الذى عرف معنى كل فكرة نعلنها وكل فكرة

تخفيها .. وهو الذى وضع قاموساً لأحلام الإنسان .. وهو الذى اكتشف أن الأحلام لها لغة .. وأن هذه اللغة لها كلمات وأن هذه الكلمات شكل صور .. تماماً كاللغة الفرعونية القديمة . فالصقر عند الفراعنة كلمة .. والثعبان والقرد والزهرة والنحلة كل هذه كلمات .. ورأى فرويد أن الشجرة والثعبان والمظلة والسكين كلها ذات دلالات جنسية .. لقد استطاع فرويد أن يعرف كل شاردة وواردة فى أعماق الإنسان . وكل أعماق الإنسان مظلمة ، والحب ليس إلا صورة مهذبة للجنس .. والجنس ليس إلا نداء الحياة .. إلا نداء الحيوان فى كل إنسان .. وكل إنسان حيوان .. حيوان حتى فرويد ....

وظلت العلاقات بين فرويد وهذه الفتاة ربع قرن . هو يكتب وهى ترد عليه .. وتناقشه وتصف أفكاره بأنها سخيفة ، وتصف نظرياته بأنها كلام فارغ . وأحبها فرويد ، وحاول أن يقول لها إن حبه عفيف . ونسى أنه لا يرى أى حب عفيف ، وأن كل حب هو جنس ، وأن كل جنس هو حب .

ومنذ أشهر صدر كتاب يضم رسائل فرويد إلى سالومى . إنها رسائل عجيبة !

وهزت سالومى كبرياءه ، وزعزعت غروره .

ولكنها قد تعطفت عليه بهذه العبارة : « وبرغم كل شىء أنت صاحب أجمل شفتين فى الدنيا » ... وحلق فرويد العظيم شاربه ، لتبدو شفتاه أكثر جمالا .. والذى يرى شفتى فرويد لا يجد فيهما أى جمال .. ولكن الرجل يصدق أى مديح يصدر عن امرأة جميلة .. أو عن أية امرأة .. أو عن أى رجل !

لست نبيًّا .. !

.. بدلا من أن يركب الأوتوبيس سار على قدميه ، ومر أمام مسجد « السلطان أبو العلا » وتحركت شفتاه بشيء ، وبدلا من أن يمشى على الرصيف . اختار أن يمشى فى الشارع ، وراحت السيارات تطارده بالكلاكسات . والشتائم تنهال عليه من نوافذ السيارات ، ولكنه مشغول عن هذا كله بشيء فى داخله : كيف حدث ما حدث فى البيت ؟ هل هان أمره لهذه الدرجة على زوجته ؟ لقد شتمته أمام أولاده .. لهذه الدرجة !

وما تزال السيارات تطارده كأنه يريد من الكلاكسات أن توقظه . أن تنتشله . فهو غارق فى هدومه . فى نصف هدومه . لقد حدث ماحدث ولن يعود إلى البيت . وهو يشعر بالأمان فى الشارع الآن ، فهو ليس بين جدران أربعة. لا أحد يكلمه . لا أحد يشتمه . لا أولاد ينظرون إليه بإشفاق أو باستنكار أو باحتقار . لا أحد ينظر إليه من المارة . إنه بالنسبة لكل المارة : لا أحد : لا هو أب ولا زوج ، ولا هو إنسان . كان شيئاً فأصبح فجأة لا شيء . ليس فى الشارع أبواب ولا نوافذ ولا جدران . إنه ليس فى حاجة إلى أن يقفل الباب برفق ، حتى لا يسمعه أحد . إنه ليس فى حاجة إلى أن يتظاهر بالمرح .وهو حزين . إنه حزين حزين. وفى استطاعته أن يبدو حزيناً ، وأن يكشر وأن يبكى ، فقد يكون لبكائه أى سبب . فلن يسأله أحد عن شيء . فلا أحد فى الشارع ، فالناس ينطلقون كالسيارات. كل سيارة فى حالها ، وكل إنسان فى حاله . وهو ككل الناس وككل السيارات

فى حاله . وفى استطاعته أن يضحك ، وأن يرقص وأن يتظاهر بأنه سكران كما يعجبه . ففى الشارع قد اكتسب حريته ، واسترد كرامته .

وعند إشارة المرور رأى أناساً يتشاجرون . لقد امتدت الأيدى من السيارات المجاورة . إن أحداً يشتم أحداً وفى سيارة .. ! وفى إحدى السيارات أطفال يسمعون هذه الشتائم . لقد كان ذلك اكتشافاً عجيباً ! فلا فرق بين البيوت والسيارات . وربما كانت السيارات بيوتاً على عجل ، أكثر حركة ، وأكثر انتقالا من شارع إلى شارع .

وجلس على أحد المقاهى ، واتجه إلى مراقبة السيارات . ووقفت أمامه سيارة كبيرة لامعة . ولابد أنها دافئة من الداخل ، فالدفء أحمر على خدود من فيها . وانفتح شباك السيارة لتضع إحدى السيدات يدها على خدها مفاجأة : سيدة تركب سيارة فخمة وتضع يدها على خدها كما يفعل هو تماماً !

فعاد إلى البيت ، وانفتح الباب ، ودخل ، وجلس ويده على خده وراح يغنى . فهذه إذن حال الدنيا وما دامت هناك خدود فسوف تستند إلى الأيدى . وسوف تكون هناك نوافذ ينظر منها الناس .. نوافذ فى سيارة أو فى البيت .. ولا يهم أبداً أن يهون أمرك على الناس فى البيت أو فى الشارع أو فى السيارة . لأنه من الطبيعى أن يهون أمرك على أقرب الناس إليك .. فكل نبى فى بيته مهان .. ولا تنس أنك لست نبياً !

الراحة ضرورة

هناك نوعان من التعب : تعب عضلى وتعب نفسى . والتعب العضلى يصيب الذين يعملون بأيديهم. والاسترخاء والنوم يؤدى إلى الراحة الانتعاش يجعلنا قادرين على مواصلة العمل من جديد . وفى بداية الثورة الصناعية فى أوربا وجدنا العمال يشتغلون ساعات طويلة ، فلم يكن قانون تحديد ساعات العمل قد صدر . ولذلك ظهرت عليهم الشيخوخة المبكرة ، تماماً كما حدث للعمال فى اليابان والصين فى هذا القرن ، وكما يحدث فى كل الدول النامية التى ترهق العمال ولا تحدد لهم ساعات عمل وساعات راحة !

أما التعب النفسى فهو يصيب كل المثقفين ورجال الأعمال . وأهم أسباب التعب النفسى هو القلق والخوف وعدم الاطمئنان . فالموظف يخاف أن يفوته الأوتوبيس . ويخاف أن يفصله رئيسه فى العمل ويخاف من المرض . ويخاف من الإفلاس . وهو قلق على أولاده وعلى نتائج الامتحانات . وعلى موعد الترقية .

والراحة من هذه المتاعب النفسية صعبة . فالنوم ليس سهلا . والمتعبون نفسيًّا ينامون والمتاعب إلى جوارهم فى نفس الفراش . ولذلك لابد من مناقشة هذه المتاعب وتصفية جيوبها أولا بأول . والنظر إليها واحدة واحدة .

وأهم من ذلك أن نرغم أنفسنا على الراحة . لابد أن نستريح يوماً فى الأسبوع . أسبوعاً فى السنة . لابد . وحق الراحة هو أهم الحقوق التى اكتسبها العامل فى العصر الحديث . وقد ثبت بالأرقام أن العمال الذين

لا يستريحون يقل إنتاجهم ، والذين يعرفون الراحة أكثر إنتاجاً .

وبعض الناس يتصور أنه إذا غاب عن عمله اضطرب الكون واختل النظام . لأنه إنسان ضرورى . وأنه لا غنى عنه ولذلك يجب ألا يغيب عن مكان عمله أبداً مهما كانت النتيجة !!

والذى يؤكد أنه تعبان جداً ، وأنه فى حاجة إلى علاج نفسى ، هو هذه التصورات الوهمية . فلا أحد لا يمكن الاستغناء عنه . فسوف يمضى كل شىء كعادته .

وسوف تبقى النجوم لامعة فى السماء ، وسوف تبقى المسافة بين الأرض والشمس ٩٣ مليون ميل كما كانت من ملايين السنين . فلن يحدث شىء فى الدنيا فى أثناء غيابك !

وإذا كانت هذه فكرتك عن نفسك فأنت ولاشك تهرب من شىء يضايقك ، وتريد أن تحتمى فى العمل . ومادمت هارباً فلا يمكن أن يكون عملك منتجاً . فأنت كالذى يختفى فى حقل قطن دون أن يزرع أو يجنى .. وإذا كان هذا رأيك فى أهمية وجودك وعملك فأنت فى حاجة إلى إجازة : إلى راحة نفسية .

وعندما تعود من الإجازة ستجد الدنيا أحسن مما تركتها .

وأجمل . لماذا ؟ لأن أعصابك قد استراحت !

نوع آخر من الغيرة ..

بالتدريج تنتشر رائحة كريهة فى جو الأسرة .. إنها تشبه رائحة البوتاجاز .. عود كبريت واحد ينسف البيت ومن فى البيت !

هذه الرائحة اسمها الغيرة ..

وهذه الغيرة من نوع خاص . فالزوج يشعر أنه هو وحده الذى يعمل ، والذى يتعب ، وأنه ثور يدور فى ساقية ، وأنه كالنهر الذى يصب فى البحر محاولا أن يجعل ماء البحر حلواً ، ولكن دون فائدة . فى حين تجلس الزوجة فى البيت لا تقدر معنى التعب ، ولا معنى الفلوس ، ولا معنى الدوخة التى يتحرك فيها الثور . ثم إن هذه الزوجة وأولادها متماسكون معاً . إنهم مجتمع مترابط .. لهم مصالح مشتركة ، مع أن هذه المصالح المشتركة ليس لها إلا معنى واحد : هو الاستفادة من مجهود هذا الإنسان الدائر فى فلك التعب والشقاء ..

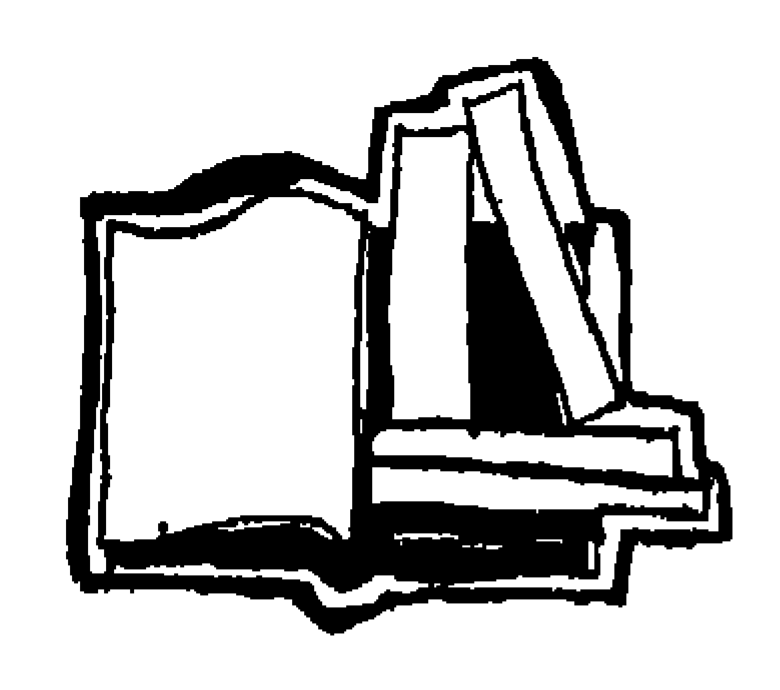
أما الزوجة فلها رأى آخر ..

فهى ترى أنها محبوسة فى البيت .. بين أربعة جدران .. وأن الزواج ليس إلا نوعاً من السجن الاختيارى ، ثم هو بعد ذلك سجن انفرادى ، ثم هو بعد ذلك سجن مع الأشغال الشاقة .. أما الزوج فهو حر . إنه يروح ويجيء ويقابل ألوف الناس ، ويضحك وحياته مملوءة بأشياء جديدة .. وهذا الجديد فى حياته هو الذى يجعله فى صحة جيدة . فإذا جاء إلى البيت اتجه إلى المائدة ليأكل . وبعد ذلك ينام بعمق . فالبيت هو مكان لراحته .. ومكان لشقاء الزوجة . والزوج لأنه شبعان من التغيير والتبديل لا يريد أن يخرج ولا أن يذهب إلى

السينما ولا أن يشم شوية هواء ، لأنه بالفعل يعيش فى سينما .. وحياته كلها خروج ، والهواء يدخل من أى باب ومن أى شباك !

وعندما يصعب التوفيق بين وجهتى النظر ، فإن رائحة كريهة أخرى تتسرب إلى جو البيت. هذه الرائحة هى : إحساس الزوجين بأن التفاهم بينهما صعب.. وبأن الرجل والمرأة ليسا من أصل واحد ، وأن المرأة ليست بنت حواء ، وإنما بنات حواء انقرضن من ألوف السنين . فجاءت أنثى حيوان آخر وانضمت إلى الرجل واندمجت فيه حتى تشابهت أعضاؤها وحركاتها وأفكارها معه .. !

وإذا وصل الزوجان إلى الاقتناع بهذا الرأى الأخير فلا داعى لأعواد الكبريت .. لأن هذه الحياة تكون قد نسفت مع أول أنبوبة بوتاجاز اسمها : الغيرة من وظيفة الرجل العامل ومن وظيفة الزوجة ست البيت !



صعوبة البساطة

أغنية للمطربة صباح تمجد : البساطة .. البساطة .. البساطة .. يا عيني ع البساطة .. وتقترح نموذجاً لهذه البساطة : أن يأكل المحبون الجبنة والزيتون والبطاطة . ممكن طبعاً . ولكن كم يوماً يستطيع الحب أن يعيش على الجبنة والزيتون ؟ .. من المؤكد أن الحب يستطيع أن يعيش على هذه الوجبة البسيطة طوال مدة الأغنية فقط !

فليس أصعب من البساطة فى كل شيء . فى الأكل والشرب واللبس وليس أصعب من أن يأخذ الإنسان الأمور كلها ببساطة . وأخذ الأمر ببساطة صفة من صفات الحكماء والفلاسفة ، وعدد هؤلاء قليلون جداً . وليس البسيط هو الذى يأكل الجبنة والزيتون . ولا يستطيع أن يأكل شيئاً آخر . ولكن البسيط هو الذى يستطيع أن يأكل أطعمة أفخم ، ثم يفضل الجبنة والزيتون !

وقد حاول رجل واحد فى كل التاريخ أن يكون بسيطاً جداً ، فكان أضحوكة البشرية ، ذلك الرجل يونانى اسمه « ديوجين » فقد ارتدى ثوباً واحداً على اللحم ، وكان الثوب ممزقاً . وكان يأكل إلى جوار الحائط ، ولم يجد فارقاً كبيراً بين الناس والكلاب . ولما عاشر الكلاب ، ازداد احتقاراً للإنسان . وكان ينام فى صناديق الزبالة . تماماً كما عاش الإنسان الأول قبل اختراع البيوت والقصور . وراح يتأمل الإنسان من بعيد . فلم يجد فارقاً كبيراً بين إنسان وحيوان . بل إنه لم يجد معنى للإنسانية . ولذلك أمسك مصباحاً مضيئاً وراح يمشى به نهاراً يبحث عن إنسان ..

ولما سمع الإسكندر الأكبر قصة هذا الرجل البسيط ذهب لزيارته فوجده نائماً فى الشمس ، واقترب منه الإسكندر . وأشفق عليه ، وقال له : هل أستطيع أن أؤدى لك خدمة ؟ فقال الرجل البسيط : نعم ابعد عنى .. فأنت تحرمنى أشعة الشمس .. ومات الإسكندر وهذا الرجل البسيط فى يوم واحد.. ودفنا – طبعاً – فى الأرض !

ولكن الميزة الوحيدة للرجل البسيط أنه لا يملك إلا القليل ، ولا يحتاج إلا القليل . وكلما نقصت حاجات الإنسان زادت حريته .. ولذلك فالذى لا يملك شيئاً ، لا يملكه شىء . ومن هنا كان الشحاذ أكثر الناس حرية ، فهو لا يملك شيئاً ، ولذلك لا يخاف على شىء ولا يخاف من أحد ، ولا يلومه الناس على أى شىء يفعله ، لأنه ليس شيئاً .. مادام لا يملك شيئاً .. فالخوف هو الذى يجعل صاحب الفلوس يتحول خفيراً على فلوسه ، وصاحب العمارة يتحول بواباً لعمارته .. فالذى أملكه يملكنى ..

ومن خمسين قرناً من الزمان عثروا على حكمة بليغة على آثار مدينة سومر فى جنوب العراق . الحكمة تقول : أنت تملك القمح ، أنت رجل شبعان .. أنت تملك الفضة : أنت رجل غنى .. أنت لا تملك شيئاً ، أنت تستطيع أنت تنام هادئاً !

فما أصعب هذه البساطة ! .. وما أسهل أن نغنيها وأن نرددها ! .. ولكن ما أبعد أن يحققها الإنسان !

وما أكذب صباح وهى تغنيها وقد ارتدت فستاناً بألف جنيه ، ووضعت خاتماً من الماس بعشرين ألفاً !

للمسرح قداسة

عندما نذهب إلى المسرح نحمل فى نفوسنا احتراماً جاهزاً لما سوف نراه.. إن هذا الاحترام موجود دائماً كالبطاقة الشخصية وأجرة المواصلات. وكذلك نذهب إلى المسرح ونحن على استعداد لأن نقتنع ونرضى ونصفق ، لأن المسرح يعرض الناس على الناس .. يعرضنا على أنفسنا . يناقشنا .. يحاورنا .. فهو يقوم بعملية تشريح لفضائلنا ورذائلنا . ويلقى الأضواء عليها .. أمامنا .. وعلناً !

ونحن نحترم المسرح الذى يحترمنا ، بل نحترم المسرح الذى يحترمنا أكثر . ولكن المسرح الذى يؤكد من اللحظة الأولى للمتفرج أنه مغفل ، أى أنه يقبل أى كلام يقال له ، فهو مسرح يسقط فى نظر المتفرج ؛ ولايزال المتفرج يسقط من قدر المسرح حتى يدفنه عند قدميه قبل أن ينزل الستار الختامى !

ولكن المتفرج أيضاً لا يحب من المسرح أن يتحول إلى كباريه : كلام عريان وألفاظ نابية إن هذا يصدم المتفرج ، وينشل منه الاحترام الذى ادخره وجاء به إلى المسرح .

والمتفرج لا يحب أن يكون المسرح زعيقاً وشخطاً . لا يحب المسرح الذى يعمق الشعور بالندم عند المتفرج كما يفعل بعض رجال الدين . فالمتفرج يشعر بشىء من القداسة الدينية للمسرح . ولكن كم من رجال الدين استطاعوا أن يصدوا الناس عن الدين ، وذلك بسبب أسلوبهم التعذيبى فى النصح والإرشاد !

والمتفرج لا يحب من المسرح أن يجعله يحس كأنه جالس فى البيت فالكلام صغير . والخناقات مجنونة . والمعنى لا وجود له .. وإنما المتفرج يريد من المسرح ومن المسرحيات ومن المؤلفين والممثلين أن يجعلوه يحس أنه فى مكان محترم فيه يرتاح العقل وتسر النفس ، ويجعل للحياة بعداً وأملا .

وفى لندن الآن مسرحية تظهر فيها الممثلات عاريات تماماً .. وقد صدمت المتفرجين . لا لأن ظهور امرأة عارية يصدم الشعور العام ؛ ولكن لأنه من الصعب أن تفتح أذنك على ما تقوله امرأة عارية جميلة .. فأمام الجمال العريان لا نفتح إلا عيوننا وأذرعنا فقط ..

..ولذلك فمهما قالت العرايا فلن يجدن أحداً يسمع .. فكأن الممثلات قد ظهرن ليشغلن الناس عن المسرحية التى جاء الناس من أجلها .. إنها إذن معادلة صعبة . بين : الكلام الواضح والجسم الفاضح !



العظمة
ليست فهلوة ! !

عيب رئيسى فى الكتب التى تصدر عن حياة العظماء أنها تجعل العظمة شيئاً مستحيلا . فهذه الكتب تصور العظماء على أنهم مجموعة من الشواذ على حافة الجنون ، وظروفهم كلها مستحيلة ، وصعوباتهم خارقة ، ولهم قوى شيطانية تحطم الأسوار والجبال وتشق البحار .. إلخ .

وليس معنى ذلك أن العظماء ليست لهم صفات غير عادية ، أو ليسوا إلى حدما شواذاً . ولكن هؤلاء العظماء مع ذلك ، أناس عاديون .

وقد دلت التجارب التى أجريت فى معاهد الدراسات النفسية فى أوربا وأمريكا على أن العظماء أناس متوسطو الذكاء ، ومحبون للعزلة ، ولهم أساليب غريبة فى الحياة ، فهم غير اجتماعيين ، لأنهم ميالون إلى العزلة ، ليفكروا ويبتكروا ، وهذه العزلة الطويلة جعلتهم ينسحبون من الحياة الاجتماعية ، وجعلت الحياة الاجتماعية غير قادرة على أن تفرض عليهم طرقاً خاصة من التفاهم والتعامل بين الناس ..

ولكن من المؤكد أن العظماء جميعاً يشتركون فى صفة واحدة وهى القدرة على العمل ، والصبر ، فلا يوجد عظيم واحد ليس من صفاته العمل الشاق والاحتمال ، احتمال الحياة ، واحتمال العذاب من أجل مبادئه السياسية أو الفلسفية أو العقلية ..

وقد لوحظ أن الأطفال الأذكياء جداً ، كسالى ، ويعتمدون على حسن إدراكهم ، ويثقون فى قدراتهم أكثر مما يجب . أما متوسطو

الذكاء فهم الذين لا يثقون فى أنفسهم . وإنما يثقون فى التجربة . وكلما أثبتت الأيام صحة آرائهم أو تجاربهم زاد رصيدهم من الثقة بالنفس ..

إن الذى يستعرض حياة الموسيقار بيتهوفن يجد أنه كان كالذى يقطع الصخور ويشق الأنفاق . فقد كانت حالته العصبية عنيفة ، وكانت حالته العضلية مؤلمة . ولم يكن الإبداع الفنى عنده شيئاً كالبرق يلمع فى ثانية ، ويسجله على الورقة فى دقيقة ، ويقدمه للناس بعد ساعة ، وإنما كان عملا صعباً . واستمراراً مضنياً . .

إننا فى كل ما نكتبه عن العظماء يجب أن نعلم أن حياتهم كانت شاقة ، وأنهم تغلبوا عليها ، وتفوقوا على غيرهم .. ولكنهم أولا وآخراً بشر مثلنا .. وأن العظمة والامتياز ولتفوق كلها صفات ممكنة لكل من يعمل ويتعب ويصبر ، فالعظمة بالعمل وليست بالفهلوة !



« خمسة وخميسة »

ما معنى أن يركب الإنسان سيارة كاديلاك سنة ١٩٧٠ ويعلق فى سقفها « خمسة وخميسة » أو « حدوة » أو « جزمة صغيرة » ؟ معناه أن السيارة هى أحدث ما ابتكره العقل الإنسانى ، ولكن راكب السيارة مايزال يحتفظ بعقلية مؤمنة بالحظ والنحس والتفاؤل والتشاؤم .. أى مؤمنة بشيء غير علمى .. وأن هذه « المعلقات » سوف تنقذ السيارة من الحوادث ، وسوف تنقذ السائق من النار إذا احترقت السيارة كلها ، ولا ضرر طبعاً من هذه المعلقات ، ولا خطر من وضعها فى السيارة أو الطيارة ، ولكن الخطر هو الإيمان الشديد .. الإيمان غير المعقول وغير المنطقى بهذه المعلقات التى تمنع من الدمار .

وأخطر من هذا أن تصبح «للمعلقات» قوة الحقائق العلمية المؤكدة ..

ولكن هناك فارقاً بين أن يتفاءل الإنسان بهذه المعلقات ، وبين أن يؤمن إيماناً قاطعاً بأنها هى التى سوف تنقذه بالفعل . وقد حدث أن ركب أحد رواد الفضاء الأمريكيين سفينته وقد لف حول عنقه منديلا أهدته إليه زوجته ، وصعد إلى الفضاء الخارجى ودار وخرج من السفينة ثم عاد إليها مسجلا انتصاراً علمياً عظيما . هذا الرائد نفسه قد مات فى حادث سيارة . ويقال إنه قد نسى المنديل الذى أهدته إليه زوجته !

والمنديل من المستحيل أن ينقذه إذا كان جاهلا بقيادة السفينة ، ومن المستحيل أن ينقذه إذا كان أعلم العلماء بقيادة السيارات فاصطدمت سيارته بهذا العنف بسيارة أخرى !!

فليس التفاؤل بالمنديل ، ولكن الإيمان بالقدرة الخارقة للمنديل أو بأى شيء آخر ، بهذا التواكل على المنديل أو « الخمسة وخميسة » !

إن هذه « المعلقات » لا تهم أبداً بشرط أن نكون على علم وتدريب بالسيارة والطيارة . وكل من يقول : « خليها على الله » يجب أن يكون قد تعلم واستعد .. وبعد ذلك يتركها لله !



فلنصبح فراعنة

لابد أننا نضيق بأنفسنا عندما نقرأ أن الفراعنة قد عرفوا كل شيء وجربوا كل شيء ، ووضعوا أنوفهم فى كل شيء . . .

فنحن نضيق عادة لأننا نتحدث عن أنفسنا ، ولأننا نجعل عصرنا الذهبي وراءنا ، فإذا تقدمت الشعوب اليوم ، ولم نلحق بهم ، فإننا نقول : كان أجدادنا أسبق من الحضارة الإغريقية والرومانية وبابل وآشور .. كأننا نعتذر عن تخلفنا الحاضر ونعتصم فى أمجاد الماضى تماماً كالذى يبرر كسله وفقره ، بأن أخاه غنى مشهور . . وأن أحد أجداده كان زعيماً فى الثورة العرابية .. أو قائداً ضد الهكسوس !

وهذا الضيق طبيعى ، ولكنه مع الأسف ظالم ، ظالم لأنفسنا . فالفراعنة قد عرفوا أشياء كثيرة جداً . وليس هذا رأينا ، وإنما هو رأى المؤرخين الأجانب ، والمستشرقين وعلماء الذرة والفلك والأطباء .

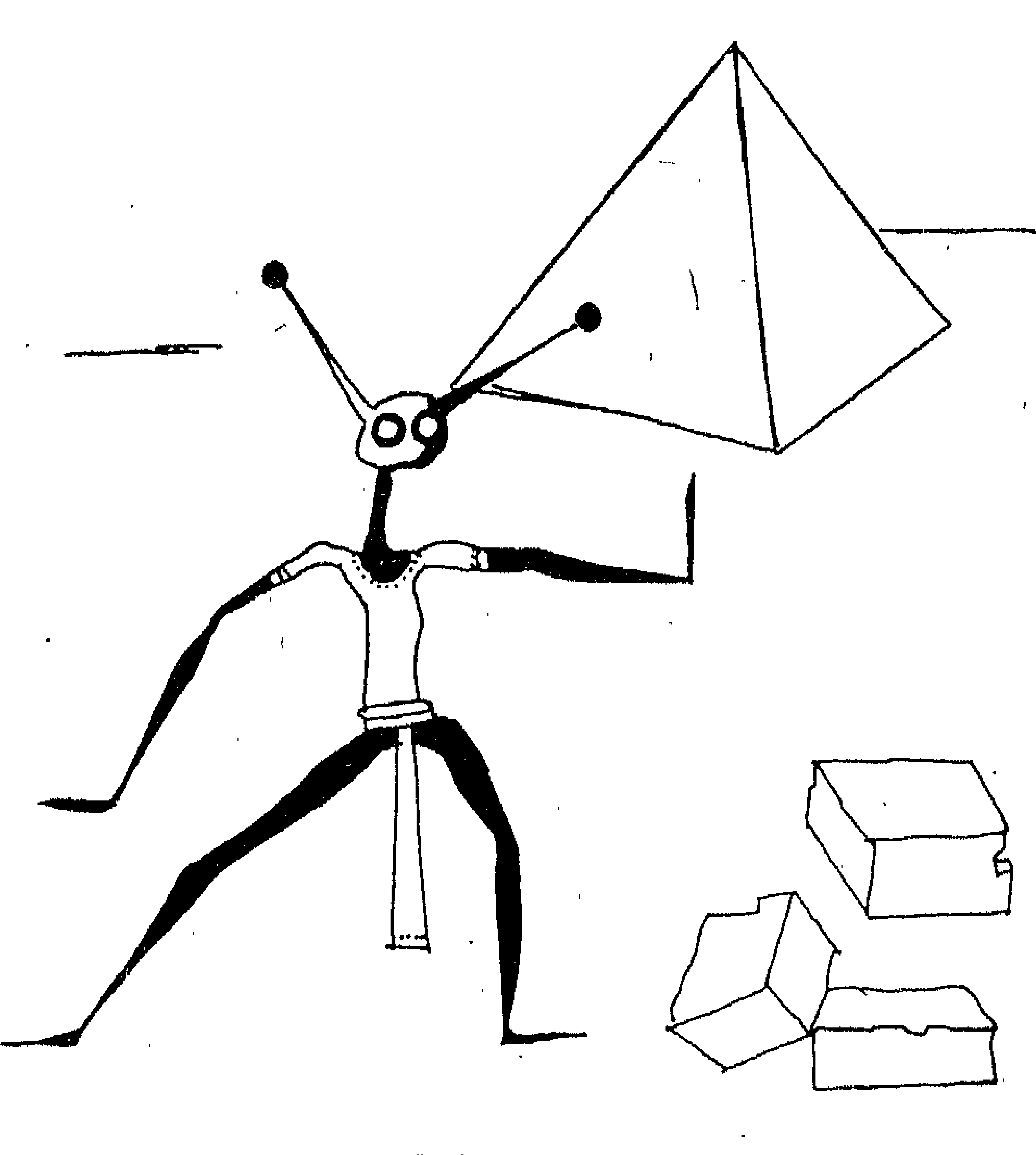
بل إن بعض العلماء المعاصرين أصابته الدهشة ، فتصور أن كائنات من كواكب أخرى أكثر تطوراً منا قد هبطت إلى أرض مصر ، وأن هذه الكائنات ساعدت الفراعنة على بناء الهرم ، وعلى تحنيط جثث الموتى ، وعلى إجراء العمليات الجراحية ، واختراع مواد التجميل وهندسة الرى واقتصاديات الزراعة .. وأنه من المستحيل أن يكون الفراعنة قد ابتكروا هذه النظريات والتطبيقات العملية لنظريات لم يعرفها الإنسان إلا حديثاً ، دون أن تكون هناك عقول أكبر من عقول الفراعنة .. أى دون أن يكون سكان المريخ أو الكواكب الأخرى قد هبطوا

إلى الأرض. واختاروا وادى النيل وتركوا بصماتهم العملية على معابده ..

حتى السينما ! لقد صدر كتاب فى أمريكا أخيراً يؤكد أن الفراعنة هم أول من اخترع الكاريكاتير .. وأن الكثير من الرموز التى فسرها المؤرخون تفسيراً دينيًّا ليست إلا قصصاً فكاهية .. وقصصاً تبعث على الضحك والسخرية من رجال الحكومة ومن رجال الدين ومن الشعب أيضاً .

فهناك قصص القطط والكلاب ، ومعارك القطط والفئران التى ينتصر فيها الفئران عادة ، وهى نفس القصص التى نراها على الشاشة الآن عندما ينتصر الفأر الضعيف الذكى على القط القوى الغبى : توم وجيرى وميكى ماوس ..

وهناك قصص القرود والحمير .. وهناك رسومات فى متحف القاهرة ومتحف لندن ومتحف تورينو تفسر لنا قصة : ياطالع الشجرة هات لى معاك بقرة ؛ فنى الرسومات الفرعونية توجد عجول البحر فوق الشجرة ، وتوجد القطط والكلاب فى الماء ، وتوجد فرق موسيقية من الأسماك .. وتوجد محاكم بين الأسود وقضاتها من الأغنام .. لم يبق إلا شىء واحد هو : أن يجد الأمريكان والروس عندما يهبطون فوق القمر جثة محنطة لمصرى قديم فى أحد مراكب الشمس !



فلنصبح فراعنة

كانت
عربة الرش معجزة

المكتشف الإنجليزى « كوك » عندما نزل إلى جزر هاواى انبهر منه سكان الجزر . فقد رأوه طويلا أبيض الوجه أزرق العينين أصفر الشعر . ولكن الذى جعلهم يركعون ويسجدون ويبكون عند قدميه أنه كان يرتدى البنطلون . وليس البنطلون هو الذى هزهم ولخبط عقولهم .. وإنما جيوب البنطلون .. فقد كانوا يظنون أن كوك عندما كان يضع يديه فى جيوبه قد وضعهما فى بطنه .. فإذا أخرجهما يندهشون .. كيف استطاع أن يخفى يديه فى بطنه ثم يعيدهما دون أن تنزف الدماء أو يموت .. وأمام هذه المعجزة العلمية استسلم سكان الجزر الجميلة !!!

ودخل الاستعمار البريطانى من بنطلون جيمس كوك !

والبنطلون الذى يراه الطفل الآن شيئاً عادياً .. وأحياناً لا يعجبه ، كان يراه سكان جزر هاواى إحدى المعجزات !

والطفل الآن يرى أن السينما أو التليفزيون شيئاً مألوفاً . بل إنه يرى أن التليفزيون الموجود فى البيت أبسط وأكثر سذاجة من التليفزيون الموجود فى سفن الفضاء .. فى حين كان الناس ينظرون إلى « خيال الظل » أو الأراجوز على أنه إحدى المعجزات .. وأحد الشعراء العرب يسجل هذا المعنى منذ سبعة قرون فيقول فى شعر ركيك :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة
لمن كان فى علم الحقيقة باق

شخوصاً وأصواتاً يخالف بعضها
سواه : وأشكالا بغير وفاق
تجيء وتخفى لعبة بعد لعبة
وتفنى جميعاً والمحرك باق !

والعالم المصرى رفاعة الطهطاوى عندما ذهب إلى باريس رأى منظراً هز كيانه ، فصلى لله ركعتين ، وطلب منه أن يهدى مصر إلى مثل هذا الاختراع العظيم — الاختراع الذى رآه هو عظيما لم يكن سوى عربة الرش ! فقد كان الناس فى مصر يرشون الشوارع والميادين بالجرادل وكانت عملية مرهقة .. أما عربة الرش فقد كانت شيئاً رائعاً !

وسوف يجيء اليوم الذى ينظر فيه الناس إلى سفن الفضاء على أنها لعب أطفال .. تماماً كما ننظر الآن إلى السيوف والرماح ، ولكن سيظل هناك شيء صعب يحلم الإنسان باختراعه ولن يقوى على اختراعه .. وإذا اخترعه فإنه سوف يخترع شيئاً آخر يدمره .. ذلك الشيء هو حب الإنسان للحياة .. إن الإنسان قد كره حياته وحياة غيره .. لقد كره نفسه على هذه الأرض . وليست رحلات الفضاء إلا محاولات بدائية للهجرة من الأرض !



لماذا يدفن الزوج أعصابه

ربما كان الفارق بين الزوج والعاشق الولهان هو أن الزوج هو البقية الباقية من العاشق بعد أن اقتلعت أعصابه .. أما العاشق فهو الزوج الذى ماتزال فيه حلاوة الروح !

وإلا فما معنى أن تجىء سيدة وتشكو من زوجها وتقول لى : إنه لم يعد يمسك يدى . إنه لم يعد ينظر فى وجهى . إنه لم يعد يسمعنى .. إنه لم يعد .. و لم يعد .. إلخ .

وأنشغل أنا عن الكلام بالنظر إلى وجهها : دموعها لا تدل على أنها حزينة . وإنما فقط على أنها « مندمجة » فى دور السيدة الحزينة .. والأحمر والأبيض فى وجهها يدل على أنها جلست أمام المرآة ساعتين على الأقل وهى تضع الانسجام اللونى بين ملامحها وملابسها وحذائها وعقدها وحقيبتها وأنها تستفيد كثيراً من المجلات الفرنسية التى احتفظت بواحدة منها عندما جاءت لزيارتى .. فهذه السيدة بصورتها هذه هى مظاهرة تأييد لنفسها. مظاهرة تؤكد أن لديها أدباً وثقافة. وأنها قادرة على لفت نظر أى رجل آخر غير زوجها . وقادرة على أن تؤكد أنه فعلا صاحب ذوق ولكنه بليد الإحساس ..

وسألتها متى تزوجته ؟ فقالت ببعض شفتيها : من عشرين سنة ..

كأن هذه العشرين سنة شىء قليل فهى ليست إلا المرحلة العشرينية الأولى من زواجها السعيد !

وعلى سبيل إقناعى بأن زوجها لا يعرف قيمتها روت لى حوادث

شخصية جداً فى حياتهما ، وكيف أنها استطاعت أن ترتفع بمستواه من الأرض إلى السماء ، وكيف استطاعت أن تجعله بنى آدم ، وكيف أنها احترمته فى حين كان كل الناس ينظرون إليه باحتقار .. ثم بعد هذه العشرة الطويلة ، وبعد هذه الأعمال التى قامت بها من أجله ، وبعد تضحيتها بشبابها وبأهلها وبمستقبلها .. وبعد ..

وقاطعتها : وبعد هذه الفضيحة ؟ وحاولت السيدة مرة أخرى أن تؤكد لى أن هذا حديث خاص بى ، وأنها لم ترو هذا لأحد ..

ولم أصدقها ، فلا يوجد حديث خاص عند المرأة ، وليست هناك خصوصيات ، فكل سر عند المرأة موجود عند صديقاتها ، وكل ما تخفيه المرأة عن الرجل تكشفه لألف امرأة أخرى . وعذرت زوجها وتمنيت ألا تكون لها مرحلة عشرينية أخرى ..

وعرفت من بعض الأصدقاء أن هذه السيدة ترددت عليهم أيضاً ، وأنهم استمعوا إلى نفس القصة .. وعرفت أن الزوج رجل مهذب ومثقف ، وأنه نموذجى ، وأنه بطل قصة حب عنيفة شريفة .. وأنه يستحق الرثاء .. أما أنا فأعتقد أنه يستحق الإعجاب .. فقد قرر أن يدفن أعصابه ليعيش مع أولاده السبعة !!



جمال الفن

بطلة فيلم « صوت الموسيقى » ليست جميلة أبداً .. بل يمكن أن نقول إنها دميمة . صحيح هى شقراء رشيقة ذهبية الشعر زرقاء العينين نحاسية البشرة ، « معيزية الساقين » ولكن صوتها من السماء !

وأمام هذا الصوت ، وتحت رحمة موسيقاه ، وفى جمال ابتسامتها وطيبة قلبها ، وهى تقوم بدور المربية الراهبة ، بعد أن دهمها الحب ، لا يسعك إلا أن تحنى قلبك فى صدرك ، وتنسى أنها ليست جميلة !

إن أم كلثوم نفسها ليست جميلة ، ولكن من الذى يستطيع أن يرى ملامح أم كلثوم وهى تغنى . إن أحداً لا يراها بوضوح فصوتها يخلق لك سحباً وردية وبين لحظة وأخرى تنزل على خدك دمعة ..

إن عبد الحليم حافظ ليس جميلا : صوته فقط . إن يدى عبد الحليم وأصابعه أشبه بأيدى الذين يشتغلون فى قطع الحجارة .

إن فيروز ليست جميلة .. إنها نحيفة جافة ، وأنفها أدق من صوتها ، ولكن صوتها يجعل للدنيا لمس الحرير ولمعان الفضة !

إن محمد قنديل يصلح أن يكون جزاراً بكرشه وذراعيه الغليظتين . ولكن صوته ناعم رقيق ملئ بالأسى .

ومحمد عبد المطلب ابن البلد بحاجبيه الجامدين ووجهه الخالى من أى تعبير لا يلهمك بأنه أحسن مطرب شعبى ..

بل إن هناك ممثلات عالميات لسن جميلات . ولكن الإطار الجميل والمعانى الجميلة هى التى تجعلنا ننسى هذا الوجه أو هذا الجسم الذى

هو وسيلة لنقل هذه المعانى . صوفيا لورين مثلا :- فمها كبير جداً وطويلة جداً وطريقتها فى الكلام « بلدى » جداً إذا استمعت إليها باللغة الإيطالية .

كلوديا كاردينالى ليست جميلة . أذناها كبيرتان . وأنفها مربع وشعرها مستعار ..

سليفانا مانجانو بطلة فيلم « مرارة الأرز » . صوتها مثل صوت كتكوت خرج من البيضة فوراً . ولذلك فأنت لا تسمع صوتها فى السينما وإنما صوت واحدة أخرى .. لقد أصبح الصوت كالباروكة يمكن أن يستعيره أى إنسان .

أنا مانيانى أعظم ممثلة إيطالية على الإطلاق .. عيناها تشبهان عيون بنات الصين ، وصوتها يشبه صوت واحدة أدمنت شرب الشيشة ، ولكن فى الإطار الفنى الجميل ، وفى الجو المشحون بالمعانى ننسى الفم الكبير والقوام القصير .. وننسى حتى أنفسنا !



طفل يحبو في عقولنا

في داخل كل رجل يوجد طفل . والمرأة هي أول من يهتدي إلى وجود هذا الطفل . وتحرص في نفس الوقت على أن يظل الرجل طفلا . فهي تحب أن يبقى رجلا لحمايتها . وأن يبقى طفلا ليظل في حاجة إليها . وكل إنسان يحاول أن يتستر على هذا الطفل . ولكن مخاوفنا وآلامنا هي التي تكشفنا فتجعلنا أطفالا صغاراً . ونتصرف كأننا صغار ونعزو كل أخطائنا إلى الطفل الذي يحبو في عقولنا أو في قلوبنا !

ولكن حياتنا العملية تحتم علينا أن نكون في غاية الرجولة والخشونة ..

وعلم النفس ينصحنا بأن نصارح أنفسنا أولا بأول . وهذه المصارحة هي التي تجعلنا نتحمل أخطاء هذا الطفل ، وتجعلنا نتغلب على مخاوفه . وتجعلنا نحول دموعه إلى مجرد آهات . ونحول آهاته إلى سخرية .

ولكن ليس كل الناس قادرين على هذه المصارحة . وليس كل الناس قادرين بعد ذلك على أن يتخلصوا من آلام الطفولة . وقد حاولت كثيراً ، ولكني لم أفلح . وظللت طفلا أمام حوادث كثيرة مؤلمة في طفولتي . لم أفلح ويبدو أني لن أستطيع .

فمثلا من عشرين عاماً كنت أتفرج في « مدينة الملاهي» على الحصان الذي تركبه فارسة إنجليزية ثم تقفز به في حوض ماء من ارتفاع كبير. ولسبب لا أعرفه الآن تطلعت إلى الحصان وأحسست أنه حيوان نبيل . فيه كبرياء . وفيه رجولة . وفيه أصالة . ولم يعجبني

أبداً أن تركبه هذه الفارسة . ثم تقفز به من الماء . وتظل على ظهر الحصان طول الوقت . وقبل أن يصل الحصان إلى حوض الماء تقفز هي بعيداً عن الحوض ويصفق الناس للفارسة . أما الحصان الذى يسقط فى الحوض . فينهض واقفاً . ويهرب الناس حتى لا يبللهم بالماء . وفى ذلك اليوم ملأت عينى من الحصان . ورأيت الفارسة تركبه وتصعد به فى مواجهة الضوء. تماماً كما فعل الإسكندر عندما ركب حصانه فى مواجهة الشمس . ثم قفز الحصان فى حوض الماء وقفزت هى بعيداً عن الحوض . ولم ينهض الحصان . لقد مات !

وعندما أحس الناس فعلا بالمجهود الهائل الذى يقوم به هذا الحيوان وأحس الناس أنهم ظلموه. وأنهم كانوا يصفقون للفارسة وينسون الحصان كأنهم يصفقون للأقمار الصناعية . وينسون الصواريخ الملتهبة التى ترفع الأقمار إلى مداراتها البعيدة .

أما أنا فقد أحسست أن الحصان لم يمت . إنه انتحر . ليصبح شعور الناس بالذنب أعمق .. ولم أنم تلك الليلة إلا ونامت دموعى على خدى .

وأمس رأيت حصاناً تحت عجلات سيارة . وانفجر الطفل باكيا فى عينى . ولم يفلح عقل الرجل ولا نصائح علم النفس أن تعيدنى إلى رجولتى .

ويظهر أن علم النفس عاجز عن إسكات الأطفال الذين يعيشون فى أعماقنا !

حمارة الإمبراطورة

من المناظر المألوفة فى مواكب أباطرة الرومان أن نجد خمسين حمارة وأحياناً مائة حمارة . وهذه « الحمارات » خاصة بصاحبة الجلالة الإمبراطورية شخصيًّا . فهى تستخدم ألبانها فى الاستحمام . ولبن الحمارة يجعل البشرة ناعمة . وجلالة الإمبراطورة حريصة على أن يكون اللبن طازجاً . وعلى ألا يكون مخلوطاً بالماء. وعلى أن يكون بعيداً عن أيدى المتنافسات فى غرام الإمبراطور . فلا يضعن فى اللبن مادة سامة !

والملكة بلقيس كانت تستخدم لبن الحمارة أيضاً . وغيرها من النساء كن يستخدمن لبن الحمارة وأحياناً لبن الأشجار فى دهن الوجه والجسم .

ولم تتغير المرأة الملكة . أو المرأة العادية . من أقدم العصور حتى الآن .. وربما كان التغيير الوحيد الذى حدث هو فى صناعة الألبان فقط .

فقد اختفت الحمارة ، وظهرت بدلاً منها المصانع ، واختفت طشوت اللبن وظهرت الزجاجات الصغيرة الأنيقة ، وأقلام الشفاه الذهبية وعلب البودرة الفاخرة .

وإذا كان الجمال هبة من عند الله ، فإن المرأة تحرص على أن تبدو موهوبة ، وذلك بأن ترسم جمالها .. تصنع جمالها . فإذا كان الله قد أعطاها وجهاً ، فإنها قادرة على أن يكون لها وجه آخر وكلما تقدمت المرأة فى السن . صرخت الألوان فى وجهها ، وكأن هذه الألوان الصارخة هى إعادة لكتابة شهادة ميلادها وحذف لأرقام السنين !

والجمال هو مملكة المرأة . وكل امرأة تحرص على أن تضع التاج على رأسها . وعلى أن تكتب خطاب العرش بالأحمر . وتجففه بالأبيض وتوقعه بالأسود . كل يوم .. كل يوم .. فأى وقت عند المرأة هو وقت للتجميل . ولو حكموا عليها بالإعدام وسألوها قبل أن تموت ما الذى تريده لطلبت قلم شفايف . إن كليوبطرة نفسها قد وضعت الأبيض والأحمر والأسود قبل أن تموت !

وإذا كان الجمال مملكة المرأة . فإن هذه المملكة لها ملوك حقيقيون هم ملوك الأزياء والموضة والجمال . ولهؤلاء الملوك سفارات فى كل مكان : فصالونات الحلاقة ، ومحلات الأزياء . ومعاهد التجميل هى سفاراتهم . وهذه السفارات تقبض ألوف الملايين من الجنيهات كل عام . هذه الملايين يدفعها الرجل دون أن يدرى .. أو وهو يدرى !



أنا :
إحدى صورى

تعال أى يوم وستجدنى سعيداً جداً بلقائك ، مع أننى لا أعرفك وليس هناك مبرر لسعادتى بك .

وهنا أتوقف . ما الذى يجعلنى أبدو هكذا سعيداً ؟ لا سبب ! ما الذى يجعلنى أرحب بك مهما كنت مشغولا ؟ لا سبب . ولكنى أقوم بدور الرجل المهذب . أقوم بدور الذى يخفى متاعبه ومشاغله . وإننى أقوم بدور الرجل الذى يرى أن همومه تخصه هو ، وأنها لا تخص الآخرين .. وفى نفس الوقت أقوم بالمساهمة فى الصورة الجميلة الكاذبة وهى أننا معشر الكتاب من طراز آخر من الناس .. نحن فوق .. بلا متاعب ولا مشاكل ولا هموم ولا قلق . وليست هذه حقيقتى ! ولا حقيقة أى إنسان تراه أو تقابله فى البيت أو فى الشارع ، وإنما هى صورة أنيقة لأعماقى . إنها صورتى وهذه الصورة قد أفرزت ألوانها من داخلى ، وعلقتها على كتفى ، وتواريت وراءها . فأنت لا ترانى . وإنما أنت ترى إحدى صورى .. أجمل صورى !

فأنا لست سعيداً .. ولكن ظاهرى السعادة .. أو « متظاهر » بالسعادة ! وكل إنسان كذلك .. أنت فى أى وقت لست إلا صورة من صورك ، لوحة من لوحاتك .

ونحن نطلب من الناس أن يكونوا صوراً لأنفسهم .. وألا يكونوا على حقيقتهم ، لأن حقيقتهم تضايقنا ، ولا تهمنا .

مثلا .. الكمسارى .. فى الأتوبيس أو فى المترو .. نحن جميعاً نطلب منه أن يكون مبتسما دائماً . إذا أخذ ثمن التذكرة يكون رقيقاً ،

ولابد أن يشكرنا على ذلك ؛ ولابد أن تكون معه فكة . ولابد أن يعرف المحطة التى سوف ننزل عندها . مع أننى لست الراكب الوحيد من أول الخط ، ولا الراكب الوحيد طول النهار . ولا طول الشهر ونحن ننسى أن هذا الكمسارى لا يختلف عن الركاب إلا فى شيء واحد هو أن المواصلات ليست مشكلة بالنسبة له . ولكنه أب أو زوج ، وله مشاكل أى أب وأى زوج . وله هموم ومشاكل أى أب وأى زوج . له همومه وله متاعب ومن ضمن آماله فى الحياة أن يتحول من كمسارى إلى راكب .. وأن يركب هو أيضاً صاروخاً أسرع من الأتوبيس : هذا الصاروخ فى خياله .. وهذا الصاروخ يحلم بأن ينقله فى يوم من الأيام إلى محطة اختيارية اسمها : الستر ...

وأنت تقوم بدور الأب .. وتقوم بدور الصديق .. وتقوم بدور الموظف المطيع ، وبدور الرئيس الصبور .. وبدور الطبيب الذى يملك المعجزات ..

ونحن فى الحقيقة نعرض على الناس « صورنا » . . نعرض على الناس أحسن ما عندنا .. والناس يعرضون علينا صورهم ولوحاتهم التى رسموها سراً .. فحياتنا هى هذا العرض الحى ..

نحن الفنانون واللوحات أيضا .. ونحن المؤلفون والممثلون والمخرجون أيضاً ومن المؤكد أن أى إنسان عندما يتهم إنساناً بالكذب أو بالنفاق أو بالشر لا يتهمه وإنما هو فجأة قد رأى الصورة الحقيقية التى يخفيها وراء هذا العمل الفنى الزائف !

هذه الحاسة السادسة !

كل واحد يقول لك : أنا إحساسى كده .. معناه أنه قد عطل حواسه الخمس ، وأنه يعتمد على حاسته السادسة ، أى يعتمد على شىء خاص به . يعتمد على مصدر للمعلومات لا تعرفه ، وهو شخصياً لا يعرفه . الذين يعطلون حواسهم الخمس هم أصحاب العُواطف الكبرى : الحب الكبير ، أو الكراهية العظيمة .

فالعواطف الكبرى مثل العواصف يواجهها الناس بإقفال النوافذ والأبواب وأزرار الملابس . من وراء هذه المنافذ المقفلة ينظر الناس إلى العالم الخارجى بعيون أخرى ، ويسمعون بآذان أخرى .. أى بهذه الحاسة السادسة ..

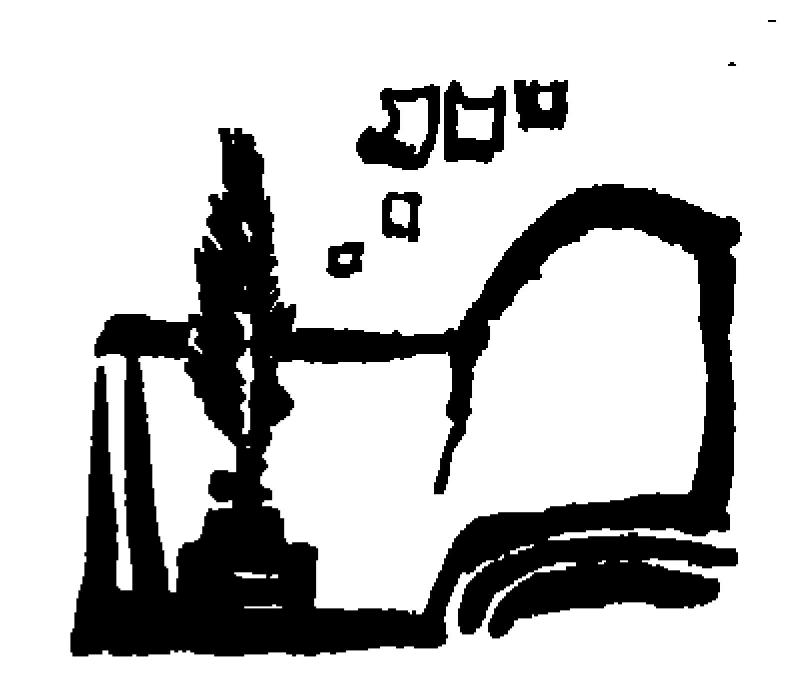
والمرأة من أكثر الناس اعتماداً على حاستها السادسة ، لأن تجاربها ليست كثيرة ، وإيمانها بالعقل ليس كبيراً . فهى تعتمد على عواطفها ، وعواطفها تهز الدنيا أمامها ، فلا تعتمد كثيراً على ماتراه أو تسمعه وإنما تعتمد على هذه الحاسة السادسة . ومن المؤكد علمياً أن إدراك المرأة أصدق من إدراك الرجل ، وإحساسها بالأحداث القادمة أوضح من إحساس الرجل ، وهناك ألوف التجارب فى حياتنا العادية تؤكد صدق فراسة المرأة .

ومنها السيدة پنيلوب إحدى شخصيات الأوديسة الإغريقية ..

لقد سافر زوجها إلى القتال . ولم تعد تسمع عنه شيئاً . وكان من السهل أن تؤمن أنه مات . أن تختار أحداً من عشرات الشبان الأغنياء الذين يريدون الزواج منها ، ولكنها آمنت إيماناً قاطعاً بأنه لم يمت ، وبأنه سوف يعود ؛ وأن هؤلاء الفرسان سوف . يموتون بضربات سيفه عندما يعود ..

وانتظرت عشرين عاماً . إيمانها لم يتغير . ولكن على أى أساس أقامت هذا الإيمان ؟ لا يمكن أن يكون ذلك مبنيًا على المشاهدة أو الاستنتاج مما تسمعه من أخبار الذين ذهبوا ولم يعودوا .. إنها اعتمدت على حاستها السادسة .

وكلما أصبح الإنسان أكثر صفاء . وكلما كان الإنسان أكثر إيمانا بشيء ؛ وكانت حاسته السادسة أقوى .. كان أقدر على أن يرى بغير عينيه ، وعلى أن يسمع بغير أذنيه ، وأن يدرك بغير عقله .. وهذا هو الخلاف الجوهرى بين الرجال والنساء وبين الكافرين والمؤمنين : هذه الحاسة التى وراء كل الحواس الأخرى !



الخلاعة شيء آخر

لا أعترض على الحرية التى تمارسها طالبات الجامعة فى اختيار الألوان والتفصيلات المختلفة للفساتين، ولكنى أعترض جداً على أن تكون الفساتين خليعة . . على أن يكون فوق الركبة بشبر .. وبشبرين عندما تجلس . وبثلاثة أشبار عندما تلتقط كتاباً يسقط على الأرض —عادة— عندما يكون هناك طابور من الطلبة جالساً على الحشيش !

أعترض وأكرر اعتراضى .. فهذا شيء لا يليق بالجامعة . لا أقصد بمبانى الجامعة . ولكن بروح الجامعة ، وهى طلب العلم والبحث والتعب والبساطة والزهد فى كثير من المظاهر . وإذا لم تكن الطالبات زاهدات، فيجب ألا يدفعن الطلبة بعيداً عن الزهد والانشغال بالدراسة .

لست متزمتاً ولكن فى نفس الوقت لست مشجعاً للميوعة ، ولا مشجعاً لأن تتحول الطالبات إلى «شماعات» أزياء . ولا أن تتحول قاعة الجامعة إلى عرض ولا أن تتحول النظرات من الكتب إلى السيقان العارية والصدور العارية والوجوه المغطاة بأكداس من الأبيض والأحمر والأسود . .

ومنذ أشهر ذهبت إلى جامعة برلين ، فأحسست أنها جامعة شرقية أقصد جامعة «محافظة» المظهر . فالأزياء طويلة معقولة ، والأكمام طويلة ، والفتيات بسيطات، فكل واحدة ، قد تأبطت عدداً من الكتب . وكل شيء يدل على أن الجو جاد ، وأن الروح جادة ، وأن هؤلاء الفتيات يطلبن العلم ، ويحرصن على طلب العلم ، لأن العلم حياة ،

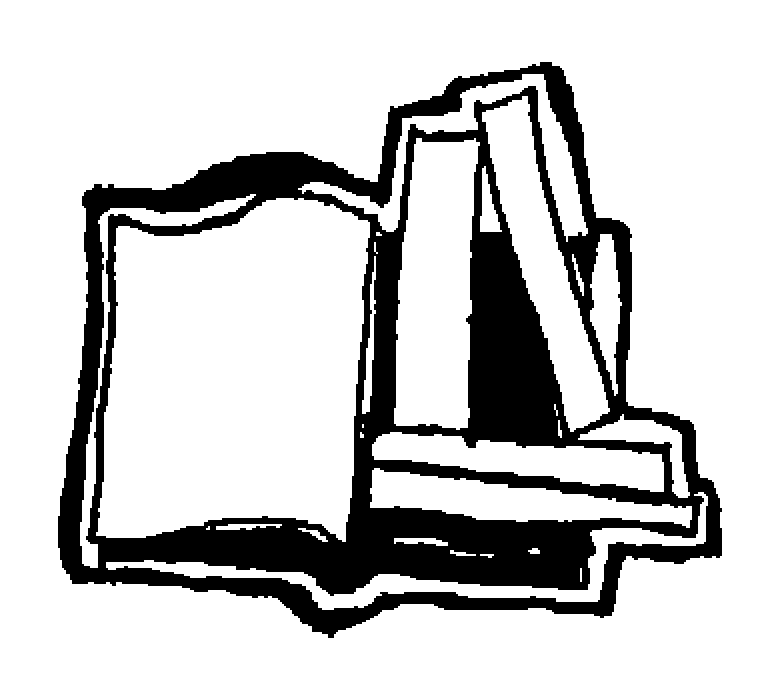
والذى لا علم له لا حياة له . فالعلم ضرورة . والعمل ضرورة .

ولذلك أنا أرحب بالدعوة التى تتزعمها لجنة النشاط الاجتماعى بكلية زراعة القاهرة . فقد تلقيت منها برنامجاً لمناقشة توحيد الزى الجامعى . « بقصد تبسيط الزى بما يتلاءم مع الحياة العلمية والدراسية . ومحاربة الإسراف وتخفيف الأعباء الاقتصادية للأسرة . والقضاء على الأزياء غير المناسبة لحرمة الجامعة . وإذابة الفوارق الشكلية بين الطلاب » .

أما فيما يتعلق بالطلاب فلم أجد لا فى جامعة روما ولا فى جامعة برلين البنطلونات المخنوقة الخانقة . ولم أجد الشعور المسترسلة الخنفسائية . لقد كان عدد الخنافس قليلا ولا يلقى إلا الاحتقار والازدراء .

ويجب أن نتساءل الآن جميعاً : ما هو المطلوب من الطالب والأستاذ وأولياء أمور الطلبة . ومن كل مواطن فى الجامعة أو خارجها ؟

المطلوب بوضوح وبإصرار : المزيد من الجد. ومن الجدية . ومن العمل ، ومن المسئولية والشجاعة فى مواجهة الواقع .. وأن نتجاوز مرحلة الشعور بالذنب العميق والندم .. وأن نعمل ، وأن نعمل ، وألا يشغلنا عن العمل شىء !



أداء الواجب كمال أنشده

لا نحن مرفهون .. ولا نحن أولاد ذوات .. ولا ولدنا والملاعق الذهبية فى أفواه الخدم والحشم حولنا .. وإنما أناس عاديون .. ومن بيئة تعانق فيها الشرف والفقر . فى أعماق الريف المصرى !!

فإذا ما طلبت من الذى يصنع الحذاء ألا ينسى فيه المسامير .. وإذا طلبت من الذى يرصف الشارع ألا ينسى سد النقر .. ومن الذى يأتى بالماء ألا ينسى قطعة الثلج .. ومن الذى يبيع البرتقال ألا يغش .. ومن الذى يكنس الشارع ألا يترك فيه الزبالة ، ومن الذى يصنع الكبريت ألا ينسى زؤوس الكبريت . فإننى هنا لا أشكو أحداً إلى أحد .. وإنما نحن نتشاكى .. نشكو أنفسنا إلى أنفسنا ..

ولست مترفاً ولا باحثاً عن الكماليات .. وإنما أطلب الكمال .. أطلب من الذى يعمل أن يتقن عمله .. فهذه « النقر » فى الشوارع تهم من يمشى على قدميه ، لكنها لا تهم من يركب السيارة . ومعظم الناس مشاة .. غير أن أداء الواجب على « أكمل » وجه هو الذى يهمنى .. فالذى يرصف الشارع يجب أن يتقن الرصف .. والذى يكنسه يجب أن يحسن الكنس .. والذى يمشى فى الشارع يجب أن يراعى علامات المرور .. والذى يصنع الخبز ، والذى يصنع الفول .. وكل من يعمل شيئاً ، يجب أن يتقنه . إنها ليست الكماليات هى التى تهمنى .. وإنما الكمال هو الذى أنشده ..

وإذا جاءنى كوب الماء ليس نظيفاً فإننى أطلب من الجرسون أن

يأتى به نظيفاً .. لأنه من الضرورى أن يؤدى ما هو واجب ، وما هو صحى .

وفى نفس الوقت أعلم علم اليقين أن لنا إخوة وأبناء يعيشون على الجبهة لا يجدون الماء المثلج الذى نجده ، ولا الظل الذى ننام فيه .. ولا هذه المسافات الواسعة التى نرتع فيها من شارع إلى شارع ومن مدينة إلى مدينة .. إن هؤلاء الجنود الأبطال هم الذين ارتضوا الشمس لننعم نحن بالظل .. وهم الذين ارتضوا الخنادق لننعم نحن بالنسيم العليل فى بيوتنا .. وهم لا يجدون الماء الذى نجده .. ولا أكواب الزجاج التى نشرب فيها ..

إننى أعلم هذه التضحية العظيمة التى يبذلها طواعية وعن طيب خاطر إخوان لنا أعزاء علينا ..

وعلى الرغم من ذلك فإننا جميعاً يجب أن نتمسك بكل ما هو واجب وبكل ما هو طريق إلى كمال العمل وكمال الإنتاج .. تماماً كما أن هؤلاء الجنود قد تمسكوا بأداء الواجب على أكمل وجه .

وإذا نحن جميعاً حرصنا على أداء الواجب .. مدنيين وعسكريين .. فى الصغيرة والكبيرة ، على كل المستويات ، فلا خوف علينا .. ولا خوف على قضيتنا !

نكتة قديمة

هذه النكتة لن تتكرر .. فقد كانت أم العريس عندما تذهب لخطبة عروس لابنها تتحسس العروس بيديها ، وفى أماكن مختلفة من جسمها عينى عينك . وكانت أم العروس ترى أن هذا طبيعى. وكانت العروس تتوقع هذا من حماتها المقبلة .. فكانت الحماة المقبلة تحتضن العروس كما يحتضن رجال الشرطة بعض المشبوهين لكى يكتشفوا إن كانوا يحملون سلاحاً تحت ملابسهم .. وكذلك الحماة تبحث عن هذه الأسلحة التى تخفيها الأنثى تحت ملابسها ..

فتتأكد من وجود صدر ممتلىء أو فارغ ، تتأكد من وجود أرداف طبيعية ! فالحماة كتاجر جاء يشترى لحماً .. وتاجر اللحم يقلب « الذبيحة » ويعرف أين العظم وأين اللحم والشحم ..

وأكثر من هذا تفعله أم العريس ، فإنها تفتح حقيبتها ، وتعطى العروس قطعة من سكر النبات أو عود قصب لتتأكد من أن أسنان العروس سليمة ، وأنها لا تضع طاقماً صناعيا .. ثم تحاول أن تقترب منها أكثر وأكثر لتتأكد إن كان لفمها رائحة كريهة .. وفى هذه الأثناء تشد شعرها لتعرف إن كان طبيعياً أو باروكة ..

هذه النكت التى كانت تؤديها أم العريس بحسن نية ، انتهى عهدها ! انتهى ولن يعود . فلم يعد هناك شىء طبيعى ، لم يعد هناك سلاح واحد من أسلحة المرأة ليس مصنوعاً عند الحلاق أو عند الترزى أو عند شركات الكاوتش أو البلاستيك !

انتهى عصر التقليب فى الذبيحة قبل زفافها إلى العريس . انتهى !

فقد تولت شركات التجميل سد الفراغ بين الأسنان : ونفخ الصدور والأرداف ، وتعلية الكعوب . وإطالة الشعور والرموش والأظافر ووضع ركبتين من النايلون الناعم لتخفي عيوب الركبتين الطبيعيتين ..

ولن تجرؤ حماة في المستقبل على تقديم سكر النبات إلى أية عروس ولا حتى تقديم أصابع الملبن . لن تجرؤ . فقد أصبح طبيعياً . أصبح من الجمال أن يكون جمال المرأة مرسوماً مدروساً صناعياً . هذه حقيقة نهائية .

ولن تجرؤ أم العريس على أن تفتح فمها بعد اليوم حتى لا يقع طاقم الأسنان من بين شفتيها : ولن تصطدم بالعروس لأنها لن تحس بشيء .. فالكاوتش عندها لا يحس بالكاوتش عند غيرها ..

انتهى عصر الجمال الصادق .. ودخلنا في عصر الجمال الكاذب ، عصر التكنولوجيا فاستريحي يا أم أي عريس !



صيد الثعابين كارثة

او كنت من أبناء الهند لذهبت إلى مارلين ديتريتش هذه وأطلقت عليها الرصاص وضميرى مستريح . فمارلين ديتريتش مسئولة عن بعض الكوارث التى أصابت الهند فى السنوات الأخيرة . فهى قد ظهرت فى أحد أفلامها فى يدها حقيبة من الجلد .

ولما سئلت فى الفيلم من أين اشتريت هذه الحقيبة قالت : إنها هدية من صديق مليونير . ولما سئلت : وأين يسكن هذ المليونير ؟

قالت : إنه مليونير هندى ! ولما سئلت عن نوع الجلد الذى صنعت منه هذه الحقيبة ، قالت : إنها من جلد الثعابين !

ومن أربعين سنة أصبحت جلود الثعابين مطلوبة فى أوربا وفى أمريكا .

وأصبحت الحقائب المصنوعة من جلد الثعابين حلماً من أحلام كل سيدة غنية ، أو تريد أن تبدو غنية . وأصبحت الأحذية من جلد الثعابين موضة : أحذية السيدات والرجال المصنوعة من جلد الثعابين موضة أيضاً ، ولاتزال موضة حتى الآن ..

وكان من نتيجة رواج صناعة الجلود الثعبانية أن تكونت شركات عالمية لصناعة جلد الثعابين . وشركات أخرى لصيد الثعابين الهندية بصفة خاصة . وتكونت مزارع لتربية الثعابين الهندية ، وتحول عدد كبير من المواطنين فى الهند إلى صيادين للثعابين . وأخذت الثعابين الهندية تتناقص مليوناً بعد مليون . حتى لقد أصبح منظر الحاوى

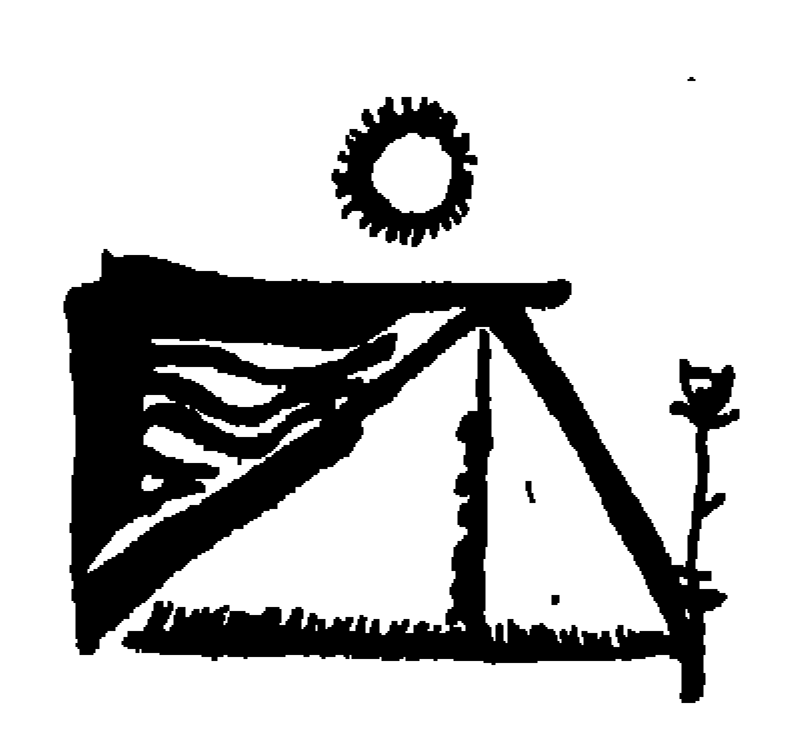
الهندى فى شوارع عاصمة نيودلهى، شيئاً غريباً يتفرج عليه الهنود والسائحون الأجانب !

ولما نقص عدد الثعابين زاد عدد الفئران، فالثعابين هى التى كانت تلتهم الفئران . ولما زاد عدد الفئران تناقص محصول القمح ، وتناقصت كميات القمح الموجودة فى موانئ الهند .

لقد نشرت الصحف أخيراً أن الفئران فى الهند لو وزعت على الشعب كله (٥٠٠ مليون نسمة) لكان نصيب كل مواطن هندى ، بما ذلك الأجنة فى بطون أمهاتهن ، خمسة فئران . ففى الهند وحدها ثلاثة آلاف مليون فأر . والصحف تقول أيضاً إن القمح الذى تلتهمه الفئران كل سنة أكثر بكثير من المعونة الأمريكية !

وهناك طريقتان للتخلص من هذه الكارثة : الأولى أن يكف الهنود عن صيد الثعابين ، بل أن يتعلموا تربيتها .. والطريقة الثانية هى أن يفكر الهنود فى أكل اللحوم . فالهنود لا يأكلون اللحوم مطلقاً . وإذا فكروا فى أكل اللحوم فليبدءوا بالفئران ... !

ولو حدثت هذه الكارثة فى الصين ، لأكل كل أبناء الصين الفئران ، ومارلين ديتريتش .. ثم امتنعوا عن أكل القمح !



عصابة خفيفة الدم

مهما كانت قدرتك على الملاحظة فأنت لا تستطيع أن تلاحظ كل شيء .. ولا أن تلاحظ نفسك وأنت تلاحظ الآخرين !

هذا المعنى هو الذى جعل أحد رجال المباحث المشهورين جداً فى إنجلترا يقع ضحية عصابة خطرة . ولكنها خفيفة الدم .. فهذه العصابة الدولية عبارة عن أربعين رجلا وامرأة .. يقومون برحلة واحدة فى سيارة واحدة . وتحت اسم شركة سياحية معروفة ، ثم ينزلون فى فندق واحد ، ويسرقون هذا الفندق . ولم يستطع البوليس أن يهتدى إلى اللصوص . ولم يتصور أحد أن هؤلاء النزلاء الأربعين هم عصابة واحدة .

وتكررت حوادث السرقة فى أوربا وأمريكا .

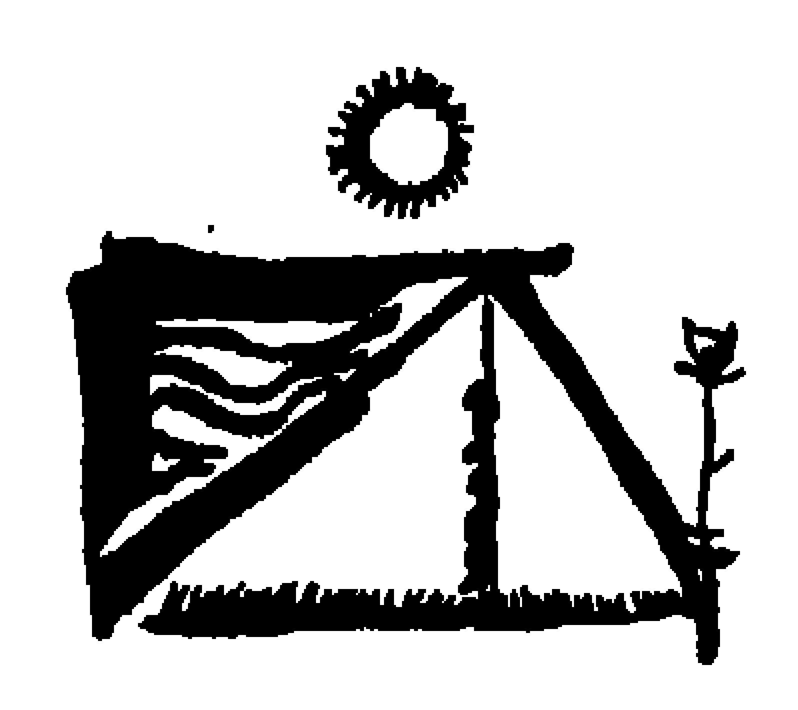
فى أول ليلة يوزع اللصوص أنفسهم حسب خطة موضوعة .. بعضهم يذهب إلى المطعم ؛ وبعضهم يذهب إلى البار ؛ والباقون يفتشون غرف النزلاء الآخرين . وثلاثة منهم يبحثون عن أموال الفندق . وبعد يوم أو يومين تختفى كل أموال ومجوهرات النزلاء وخزانة الفندق . وتنبه أحد رجال المباحث إلى هذه العصابة . وبدأ يساوره الشك عندما بدأ ينظر إليهم بدقة : فقد لاحظ أن ملابسهم مختلفة . ولا يوجد اثنان من الرجال أو النساء يتشابهان فى شيء . وهذا غير طبيعى ؛ فلابد أن يتشابه اثنان أو ثلاثة فى الزى . ولاحظ أن أحاديث الأزواج فى غاية المرح والسعادة . وكتب رجل المباحث فى مذاكراته أن هذا غير طبيعى

ولاحظ أنهم جميعاً يدخنون ويشربون .. وهذا غير طبيعى .. وقرر فيما بينه وبين نفسه أن هذه هى العصابة

وعاد رجل المباحث إلى غرفته ليجد رجال العصابة قد انتظروه تحت السرير. أما لماذا شكوا فى أمره . فقد لاحظوا عند تفتيش غرفته ، أنه لا يوجد بها ورقة ولا قلم ولا شىء يدل على شخصيته ، واستبعدوا أن يكون لصاً مثلهم ، لأن اللص فى حاجة إلى أوراق وأقلام وملابس تخفى حقيقة شخصيته . ولكن هذا الرجل لأنه مطمئن إلى طبيعة عمله ليس فى حاجة إلى دليل . ولأنه حريص فهو يخشى أن يقع شىء فى أيدى اللصوص !

وربطوا رجل المباحث فى السرير ، وهربوا ..

لقد فاته أن يلاحظ أنهم كانوا يلاحظونه أيضاً !



سيف الرشيد

خناقة عمرها ١٧٠ سنة بين رجال القانون الألمانى ورجال الآثار النمسويين .. وسبب الخناقة هو هذا السيف الذهبى الذى بعث به الخليفة العباسى هارون الرشيد إلى الملك شارلمان منذ نحو ١١٥٠ سنة .

وكثيراً ما أرسل الخليفة العباسى هداياه إلى الملوك والأمراء فى العالم وكان يريد بذلك أن يؤكد صداقته ومودته . وأن يبين فى نفس الوقت أن العرب على درجة كبيرة من الحضارة .. وقد كان العرب متحضرين .. بل أكثر الشعوب حضارة وتقدماً فى الآداب والفنون والعلوم المعروفة فى ذلك الوقت .

ويقال إن هارون الرشيد قد أرسل إلى « صديقه » الملك شارلمان أعظم ملوك أوربا ، وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة هدية ضخمة : فيل يركبه أحد الرجال ، وفى يد هذا الرجل ساعة مائية معقدة التركيب . وسيف من الذهب . وظل هذا السيف فى مكانه فى كنيسة مدينة آخن بألمانيا أكثر من تسعة قرون . وبعد ذلك بدأ السيف الذهبى ينتقل مع الملوك من مدينة إلى مدينة . ومن كنيسة إلى كنيسة . حتى استولى عليه النمساويون . ووضعوه فى أحد متاحف ڤيينا . واستولوا معه أيضاً على كيس من الذهب . ثم على نسخة مكتوبة باليد من الأناجيل الأربعة .. وهذه النسخة قد أقسم عليها الإمبراطور شارلمان يوم تتويجه .

وعندما أصبح هتلر مستشاراً لألمانيا طالب بالسيف الذهبى .

واستولى هتلر على النمسا . وأعاد السيف الذهبي إلى المتاحف الألمانية . وأحس المؤرخون الألمان أن هذا السيف يستحق البحث والدراسة من جديد . ودرسوا السيف وحللوه ورسموه . وحققوا الخرافات الكثيرة التي تدور حول هذا السيف . والذى يقال إن لمسه يشفى من الروماتيزم وبريقه يشفى من الرمد . وإن المرأة العاقر إذا وضعته على صدرها ولدت أطفالا ذكوراً .

وبعد الحرب العالمية .. أعيد السيف إلى متاحف النمسا .

وسيف هارون الرشيد موجود الآن فى متحف مدينة ڤيينا . ولكن أهل مدينة آخن الألمانية يطالبون بالسيف .

فقد ظهر بحث ممتاز لمحام ألمانى اسمه « فريد ريش راموبه » يؤكد بالدليل القاطع التاريخى والقانونى أن سيف هارون الرشيد يجب أن يعود إلى الألمان .. وقد تمضى ١٧٠ سنة أخرى قبل أن يتفق العلماء والمؤرخون والساسة على شىء !

وأقترح أن تبعث الحكومة النمسوية بهذا السيف إلى بغداد .. لأنه من المؤكد سيف عراقى . وبذلك تكون هذه « سابقة » طيبة لإعادة السيوف والذهب إلى أصحابها الأصليين .. وبذلك نساهم فى تحقيق السلام بين النمساويين والألمان اليوم وغداً !

المحبة الإنسانية ممكنة

آثار أبو سمبل هذه من أمجاد مصر الفرعونية . . ومن أهم معالم عصور رمسيس الثانى ، ذلك الفرعون الذى حكم ٦٧ عاماً ، وعاش أكثر من مائة سنة ، وترك وراءه مائة من الأبناء وخمسا من الزوجات وعشرات من العشيقات .. وترك وراءه تاريخاً طويلا ملحناً ثرثاراً لأعماله البطولية . فالذى سجله على الصخور لانتصاره فى معركة قادش إذا عرفناه على الورق يملأ صفحات كتب ضخمة .

ولكن رمسيس الثانى كان حاكماً عظيما . وآثار أبو سمبل هذه من أروع أعماله الفنية والتاريخية الباقية . وإذا كان الصخر قد استطاع أن يبقيها حتى اليوم ، فإن العلم الحديث وتعاون الشعوب جميعاً قد أضافا عمراً جديداً ، فقد نقلها من تحت إلى فوق .. فرفعها عن مستوى مياه النيل .. وانتشلها من الغرق الأكيد والنسيان السريع ..

وإذا كان رمسيس الثانى قد سجل تاريخه على هذه الأحجار بأصابع الفنانين والمهندسين المهرة ، فإن الإنسانية الحديثة قد سجلت لنفسها معنى جديداً .. معنى نتمنى أن نراه بيننا فى كل المجالات الأخرى .. فقد سجلت الإنسانية معنى التعاون من أجل الفن .... والحقيقة التاريخية المشتركة .. فإن شعوب العالم التى أنقذت هذه الآثار ، قد أنقذت سمعة الإنسانية نفسها .. فنحن لم نعد نعرف إلا التعاون من أجل الدم .. ولم نعرف إلا الاتفاق على الورق

حتى لا يقع دم .. ولكن الاتفاق المخلص والتعاون الصادق ، قد انفرد هذا الحدث التاريخى الجليل بتجسيده ..

فالأصابع التى رفعت هذه الكتل الهائلة من الوثائق التاريخية هى أصابع العلم والفن وروح الأخوة ، فنحن — إذن — لم نرفع صخوراً .. إننا رفعنا شعاراً جديداً حقيقياً وقوراً حكيما : هو أن المحبة الإنسانية ممكنة .. والتعاون العالمى ممكن .. وبلادماء ولا نار !

ولاشك أن هذا الحدث « العلمى » يعد من مفاخر كل الهيئات الألمانية والسويدية والفرنسية والإيطالية العالمية التى ساهمت فيه ، ومن مفاخر وزارة الثقافة المصرية .. فقد كان الرأى العام فى العالم كله أن معبد أبو سمبل لن يكون آخر الآثار التى ابتلعها النيل أو البحر ..

وفى « قاموس الحضارة المصرية » الذى نشره جورج بوزنر — سنة ١٩٦٢ — تحت كلمة « أبو سمبل » وهى أول كلمة فى القاموس نجد هذه العبارة : وهذا المعبد لا يمكن تحريكه من مكانه لأنه منحوت فى الجبل ولذلك فهو مهدد بخطر الغرق فى الماء عندما يقام السد العالى ! وأنقذنا المعبد ..

وأضاف العلم الحديث إليه معجزة أخرى جنوب السد العالى !

أول طالب
يزوغ فى العالم

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « التمبو » الإيطالية أن أحد العلماء قد عثر على مخطوطة قديمة ، هى عبارة عن رسالة بعث بها أب إلى ابنه والأب يعيب على الابن أنه لا يذهب إلى المدرسة بانتظام ، وأن أساتذته يشهدون بذلك ، وأنهم قد ظنوا فى أول الأمر أنه مشغول بإعداد قصيدة طويلة ، ولكنهم لم يسمعوا من هذه القصيدة بيتاً واحداً .. ويقول الأب إنه صديق الأساتذة ، ولا يرى أن نظم الشعر يشغل الإنسان عن دراسة الرياضيات والموسيقى والفلسفة .. ولا ينسى الأب أن ينبه ابنه إلى أن الشعر — خصوصاً الشعر — لا يفتح بيتاً ولا يكسو عرياناً ، ولا يطعم جائعاً ، وأن الذين اختاروا أن يضيعوا أوقاتهم فى وزن الكلمات ، قد هربوا من العمل المفيد — إنهم اختاروا أن يكونوا فقراء شرفاء .. ولكنهم فقراء !

وهذا الخطاب يرجع إلى القرن الرابع الميلادى ...

ولكن الدكتور مصطفى العبادى اكتشف ورقة بردى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى ، وعليها رسالة بعث بها طالب فى جامعة الإسكندرية اسمه « نيل » إلى والده فى مدينة البهنسا . وفى هذه الرسالة يشكو الطالب من ارتفاع أسعار المعيشة ومن أزمة المساكن ، وأنه لا يزوغ من الجامعة ، وإنما الدراسة الجامعية لا تعجبه . وأنه لا داعى لإنفاق الأموال الكثيرة فى الدروس الخصوصية ، لأن الأساتذة الذين يدرسون فى الجامعة هم أنفسهم الذين يدرسون له خارج الجامعة .. وأن مستواهم جميعاً ضعيف ..

وأنه يشكر والده على الأموال والأطعمة التى بعث بها ، وأنه يطلب المزيد ..

ويجىء فى خطاب الطالب أيضاً أنه يعتذر عن كسر عربته التى يجرها حصانان ، لأنه قد اشترك فى سباق مع زملائه ــ وهذا يدلنا على أن الطالب من أسرة غنية .

ومن الغريب أن هذا الطالب يملك أحد العبيد .. وأنه يدفع هذا العبد إلى العمل فى بيوت الناس .. وأنه يتقاضى أجراً على ذلك ، وأنه ينفق هذا الأجر ، وأن العبد قد هرب .. وأنه ألقى القبض عليه ، ثم هرب من السجن .. ولم يشأ الطالب أن يطلب من والده أن يبعث له بعبد آخر ...

..إنها هى إذن نفس المشكلة القديمة .. فمنذ كانت هناك مدرسة ، كان هناك تزويغ من المدرسة ومن الدراسة .. ومنذ كان هناك تلامذة كانت هناك الشكوى من المدرسين .. وكان الرسوب فى الامتحان لا بسبب عدم المذاكرة ، ولكن بسبب ضعف مستوى الأساتذة وأزمة المساكن وإغراء اللعب !!

إنها المشكلة القديمة : حيث يكون هناك واجب ، يكون الإهمال فى أداء الواجب ، والهرب من الواجب .. والهرب من حمل المسئولية ...

وهذا قديم .. أقدم من مخطوطة روما .. وأقدم من أوراق بردى الإسكندرية !

الحب الشريف
أصله عربى

لو كان عندى قبعة لرفعتها تحية للشاعر الإنجليزى « روبرت جريفز » الذى كتب مقالا فى مجلة « لايف » يقول إن الشهامة والفروسية والشجاعة والتضحية فى سبيل الحب ، كلها معان استوردتها أوربا من العالم العربى . وكلمة « الرومانتيكية » التى نستخدمها الآن للدلالة على العفة والحب العنيف كانت لها معان أخرى فى أوربا .

فكان من معانيها الخشونة والعنف وعدم الاهتمام بالمرأة وإنما الاهتمام بالرجل .. أى اهتمام الرجل بالرجل !

والعرب هم الذين علموا أوربا كيف تحب وتعف ، وكيف يهون الموت من أجل المحبوبة . والعرب هم الذين ركبوا الخيول البيضاء ، ووقفوا بها تحت شباك المحبوبة فى انتظار إشارة البدء فى الهرب بها بعيداً عن الأب والأم والإخوة ، وعن المجتمع كله . ولاتزال الفتاة فى الغرب وفى الشرق تحلم بذلك الفارس الأسمر الذى يمتطى حصاناً أبيض ويهرب بها متحدياً كل الناس من أجلها !

وحتى لو اتفق الأب والإخوة وكل الناس مع فتى الأحلام على الزواج من محبوبته فإن المحبوبة تفضل أن تكون هناك عقبة . أن تكون هناك معركة لكى يتغلب عليها الفارس .

لكى يتعب ويتعذب من أجلها . والتعب والعذاب هما أغلى مهر يقدمه محب لمحبوبته .

وليست حفلات الزفاف والموسيقى والأعيرة النارية والفستان الأبيض إلا صورة مهذبة لما كان يحدث فى حفلات الزفاف من قبل .. عندما كانت هناك معارك بين القبائل، وعندما كانت القبائل تدق طبول الحرب ، وما الفستان الأبيض إلا الحصان الأبيض، وإلا السحاب الأبيض ، وإلا أشعة القمر الحالمة !

ولا توجد فتاة تتردد فى أن تتمخطر فى الزفة . ولكن معظم الرجال يترددون .. وأنا لم أندهش عندما سمعت عن زوجة قررت ، بعد عشر سنوات من زواجها ، أن تقيم لنفسها زفة فى بيتها ، وأن ترغم زوجها على أن يمشى إلى جوارها ، على الرغم من أنه لم يكن هناك أحد غيرهما ..

إن المرأة ماتزال تحلم بالرجل الذى يخطفها على حصان أبيض أمام الناس ، وعلى الرغم من الناس !



عندما خدعته

جاءنى يطلب عدداً من خطابات التوصية إلى أصدقائى فى أستراليا . فقد قرر أن يعمل هناك . ونظرت إليه من جديد كأننى لا أصدق ما يقول أو كأننى لا أصدق أن شاباً مصرياً قرر أن يعمل وحده ودون معونة من أحد فى هذه القارة السعيدة — وأنا أستخدم هذه الكلمة الأخيرة استخداماً حقيقياً . فهى فعلا سعيدة وغنية . وهى تتسع لمئات الملايين من الناس ، مع أن سكانها عشرة ملايين فقط ! ورأيت أمامى شاباً نحيفاً ، متوسط القامة . أسود العينين ، وكان شعره منكوشاً . فلم يعجبنى هذا الإهمال ، ولاحظت أنه قد أمسك إحدى يديه بالأخرى — فلم يعجبنى أنه خائف !

وكتبت له عدداً من الخطابات إلى أصدقائى من أستراليا ، وإلى أصدقاء من العرب .. وحاولت أن أفسر له سر سعادتى به .. عندما لمعت فى عينى أضواء مدينة سيدنى الجميلة وشوارعها الرشيقة ومحلاتها الفخمة . وهواؤها المنعش الذى يهب من القطب الجنوبى ، فيقابله الناس بالبلوفرات الصوفية الغليظة والآيس كريم .. وبدأ صدرى يعلو ويهبط كأنى أستنشق عبير مدينة كانبيرا الهادئة الوقور ..

وأهم خطاب كتبته كان بعنوان : مستر جورج تشارلز ويليام . وقلت له : إن هذا هو أهم خطاب ، ويجب أن تبحث عن هذا الرجل . فإذا لم تجده فافتح الخطاب وابعث لى به من جديد !

ومضى شهر وشهر .. وستة أشهر .. وجاءنى خطاب من هذا المواطن الشاب . وشعرت بشىء من الخجل . وبشىء من السرور . فقد سرنى

أنه ذهب وأقام وصادق واستراح ونجح ، وأخجلني أنني خدعته ، فهذا المستر جورج تشالزويليام لاوجود له .. لا أحد بهذ الاسم الغريب . وإنما هذا الخطاب كان موجهاً مني لهذا المواطن المصرى ، فقد قلت له فيه : « أنت الآن لست فى حاجة إلى معجزة لكى تعيش . أنت موجود . وهذا يكفى . وأنت لم تسقط بالباراشوت فى قلب الجليد ، وإنما أنت فى قارة غنية متحضرة . وأنا عندما جئت إلى أستراليا سنة ١٩٥٩ كنت المصرى الوحيد . ولكن كان هناك ٣٠ ألف عربى . . وأنت شاب ومندوب دولة عريقة ، ولها مستقبل عظيم . وفى أستراليا الآن سفارة لا تلجأ إليها إلا عند الضرورة . وشبابك وعزيمتك وصبرك وأملنا فيك يدفعك إلى أن تكون مواطناً صالحاً . إن خطابى هذا ليس شيكاً بلا رصيد . . فشبابك هو أعظم رصيد ! » .

وأنا فى الحقيقة لم أخدعه ، وإنما أردت أن أكون أول من يبعث إليه بخطاب بدون طابع بريد !



اليد اليسرى ليست مأساة !

لسبب غير معروف الآن كان الإنسان الأول فى العصر الحجرى يستخدم يده اليسرى بدلا من اليمنى .

ومن المعلوم الآن أن خمسة فى المائة من الناس فقط يستخدمون اليد اليسرى فى الكتابة وفى العمل أيضاً . وكان الناس يظنون فيما مضى أن الشياطين فقط هى التى تستخدم اليد اليسرى ... لا لشىء إلا لأن الشياطين يجب أن يكون لها أسلوب مختلف فى كل شىء ؛ فلها عين واحدة فى منتصف الرأس . ولها أسنان من نار ، ولها ذيل كالثعبان ، ولها أنفاس كالدخان ، ولها أذنان كالحمار .. إنها كائنات عجيبة فى كل شىء!

ومن الملاحظ أيضاً أن الطفل يستخدم يديه معاً ؛ ويتعلم بعد ذلك أن يستخدم اليد اليمنى . وبعض الأطفال قد أصر — لسبب غير معروف على استخدام اليد اليسرى . وفشلت كل محاولة لأن يستخدم اليد اليمنى!

ولكن الذى يكتب بيده اليمنى . والذى يكتب بيده اليسرى ، لا بد أن يهرش الجانب الأيسر من الرأس أيضاً . وأول من اهتدى إلى هذه الحقيقة هو أشهر عبقرى كان يرسم ويكتب بيده اليسرى : دافنشى ، وهو الرسام المثال الفيلسوف المهندس الطبيب الموسيقار المخترع العبقرى فى كل شىء !

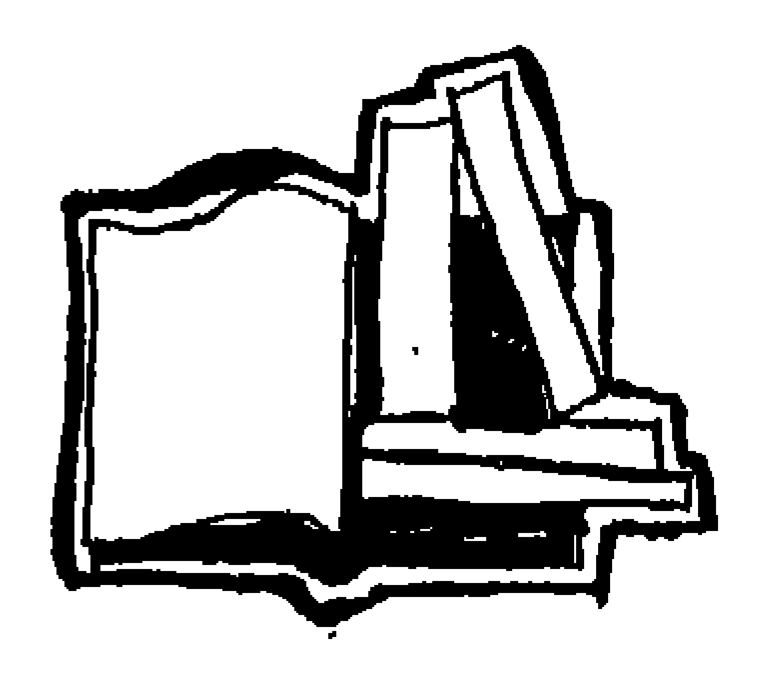
وبرنارد شو كان يكتب بيده اليسرى أيضاً ، وكان يقال عنه إنه يسارى من أصابع رجليه حتى أصابع يديه .. وكان يقول هو : بل يسارى بعد ذلك أيضاً !

والفيلسوف بنيامين فرانكلين كان يكتب بيده اليسرى أيضاً . وكان يقول : إنني أحتفظ بيدى اليمنى لاستقبال الناس فى أثناء عملى !

وشارلى شابلن أيضاً .. والملاكمان : تيريل وميلدنبرجر .. ولاعب التنس : دروبنى . وهناك فرق للملاكمة كل أفرادها يستخدمون اليد اليسرى . وهذه الفرقة فى روسيا وفى ألمانيا الديمقراطية ، وهى فرق محيرة وتبعث على ارتباك الخصوم .. وغالباً تفوز فى المباريات الدولية !

ولذلك لا أرى مسوغاً لفزع المواطن المصرى أبى الأبناء الثلاثة الذين يكتبون باليد اليسرى ، ولاداعى — أبداً — لأن يقسو على أبنائه ، ويرغمهم على تناول الطعام باليد اليمنى ، فيتساقط الطعام والدموع معاً .. ويتمزق قلبه حسرة عليهم !

فالفنان العظيم اليتيم اللقيط دافنشى كانت يده اليسرى تساوى كل الأيدى اليمنى واليسرى فى كل عصره ، ولم تكن مأساته الحقيقية هى أنه يكتب باليسرى على خلاف الناس ، وإنما لأنه ابن غير شرعى ولم يجد من يضرب به على يده اليسرى ويبكى عليه بعد ذلك !



الزى المناسب

لا أعترض — مثلا — على قزقزة اللب . ولكنى أعترض أن يكون ذلك فى الأوبرا أو فى السينما .

ولا أعترض أيضاً على الفساتين القصيرة . ولكنى أعترض على أن يكون ذلك فى الجامعة حيث الروح الجادة . وحيث الرغبة الصادقة فى الانصراف « إلى » العلم ، وليس الانصراف « عن » العلم .

وإذا كان الدين يطلب إلينا أن نخلع أحذيتنا عندما ندخل إلى المسجد فليس فى ذلك دعوة إلى الحفاء وخلع الأحذية والمشى على لحم القدمين !

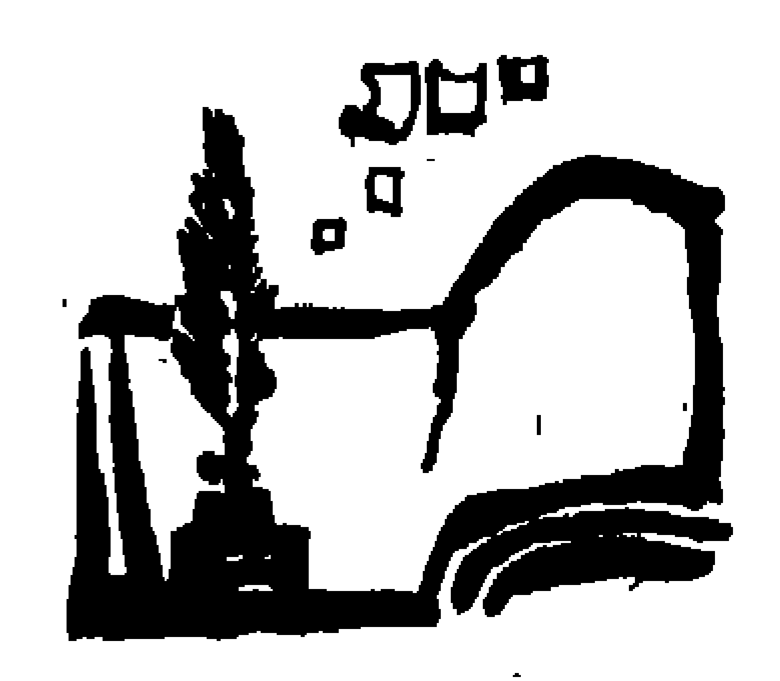
وإنما كل مكان له الزى المناسب . فالمايوه للبلاج . وقمصان النوم للبيت . والفساتين القصيرة للشارع . والملابس المحتشمة المحترمة للأماكن المحترمة الجادة . مثلا . وأنا لا أزال أعتقد أن الجامعة مكان يستحق الاحترام ، ويجب أن يصان احترامه وتقديره ، فهى مكان مقدس فى كل الدنيا .

حتى إنجلترا التى اخترعت « المينى جيب » لا تسمح لطلابها بأن يكونوا خنافس ، ولكن ليس لديها أى مانع فى أن يتحولوا خارج الجامعة إلى خنافس وقطط وكلاب .. وأية حيوانات أخرى تعجبهم !

وأذكر أننى فى أول مرة ذهبت إلى باريس كانت فى رأسى صور سياحية مجنونة ، فقد تصورت أن الهواء فى باريس زفرات وأن المطر دموع ، وأن أغصان الشجر تلتف فى عناق دائم ، وأن الناس يشتعلون بالعواطف . ولكن عندما أقمت فى باريس أسابيع عديدة

وجدت باريس شيئاً آخر : العلم والبحث والفن ، وألوف الكتب الجديدة ، ومئات المجلات الأنيقة . وقاعات البحث والأساتذة العظام فباريس ليست كباريهات ولهواً ولعباً ، ولكن هناك الجد . وهناك للعب ، وهناك الجد أكثر !

وأخيراً أعترض على أن يدخل المواطنون دار الأوبرا بالقميص والبنطلون ، فليست هذه شعبية .. ولا هذه اشتراكية ، ففي الاتحاد السوفييتي لا يمكن أن يدخل أي مواطن الأوبرا أو المسارح أو حتى السيرك بالقميص والبنطلون ، فهذه جليطة صارخة ! والروس ليسوا جامدين ولا مترمتين ، ولكن هناك أصولا لكل شيء . فكل مكان له الزي الذي يتناسب معه .. القميص والبنطلون والميني جيب للشوارع والحدائق ، ولكن الملابس المحترمة للأماكن المحترمة ... ولا يمكن أن تكون الجامعة أو الأوبرا أقل احتراماً — في نظرنا — من السيرك الروسي !



حيوان .. ولكنه يختار زوجته !

الدماء التى تسيل فى كل العالم لم تمنع الناس من أن يتحابوا وأن يتزوجوا وأن يأتوا بالمزيد من الأطفال .. وتساقط القنابل والجنود لم يمنع الناس من أن يحرصوا عندما ينهضون من فراشهم على أن يلبسوا الحذاء وأن يتأكدوا من أنه مربوط جيداً .

والأرض تدور حول نفسها أمام الشمس ، وسوف تدور سواء كانت هناك دماء أو طوفان يهلك الأرض ومن عليها !

وفى كل شارع طفل صغير يلهو بغطاء زجاجة ، أو يجمع الحصى من شاطئ البحر ، وأمه ترقبه بسعادة ، وترى فيه مكتشفاً عظيما ، أو عبقرياً جديداً . وتحس الأم — كل أم — بسعادة غامرة بأنها ولدت للإنسانية شيئاً عظيما ، وأنها أعطت زوجها هذا الطفل الذى لا يستحقه .. وكل الأزواج — من وجهة نظر الزوجة — لا يستحقون أطفالهم .. !

وبنفس الحماس الذى تنظر به الأم إلى طفلها .. وبنفس الاهتمام الذى يربط به الناس أحذيتهم .. وبنفس الدقة التى يصوب بها الجنود مدافعهم على أعدائهم ، يقف العلماء الروس والإنجليز فى خشوع شديد أمام زوجين من حيوانات « الباندا » فى حديقة حيوانات موسكو .. هذا الحيوان هو نوع من الدببة أبيض الرأس عسلى العينين .. الأنثى من بريطانيا واسمها : تشى تشى (٢٣٥ رطلا) والذكر من روسيا واسمه آن آن (٣٣٥ رطلا) ، والاثنان من الصين . وهما

الوحيدان اللذان يعيشان في المهجر . وأمل علماء روسيا وبريطانيا وأمريكا أن يتزوج الاثنان لينجبا حيواناً جديداً . هو أول حيوان من نوعه ولد خارج الصين .

وفى مارس الماضى أخلى نصف طائرة نفاثة لكى تنقل الأنثى إلى موسكو . وفى موسكو حاول العلماء أن يقربوا بين العروسين فاقتربت الأنثى ودارت حول العريس . كما يفعل محمد على كلاى ، وقاست المسافة ، وهجمت على العريس تريد أن تضربه . وهنا تدخلت مقشات العلماء لإبعاد الاثنين .. ثم تجددت المحاولات ، وانتهت الجولة بعد دقائق . وفقد العلماء كل أمل فى هذا الزواج السعيد .. وقال أحد العلماء الروس : يبدو أن التعايش بينهما مستحيل .. فهما من أصل صينى !

ورفض هذان الحيوانان أن يتزوجا بالإكراه .. وهذا فارق جديد بين الإنسان والحيوان .. فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يستطيع أن ينام مع أعدى أعدائه فى فراش واحد !



أب بالقطعة
وأب بالتعيين

فى المجتمعات البدائية عندما تلد الزوجة يهرب زوجها إلى الغابة ، وبعد أيام يذهب إليه أفرادا القبيلة يؤكدون له أن المولود إنسان وليس حيواناً . أى أن زوجته لم تكن على علاقة بحيوان آخر ، وأن المولود شبيه جداً به ، ومعنى ذلك أنه هو الأب الشرعى للطفل ..

وكثير من العادات البدائية أخفتها الحضارة الحديثة بأغشية رقيقة مهذبة ، فلا يزال هذا الشعور موجوداً بشكل ما عند الأب . فكل ما يصنعه عندما تلد زوجته أنه يشعر بشىء من القلق عليها ، وأحياناً يخفى قلقه فى أحد الأفلام ، ويترك الزوجة تصرخ وتلعن الطب والدكاترة والممرضات . وعندما تضع طفلها تعرف من اللحظة الأولى أنها أم ، وأنها تعذبت فى الحمل والوحم والولادة ، وأنها اجتازت اللحظة العجيبة ، وهى لحظة الولادة ، وهى أعذب أنواع العذاب .

وعندما يجىء الأب يتفرج على المولود تؤكد له الأم والأخوات والخالات والعمات أنه — أى الطفل — الخالق الناطق أبوه .: عينه وأنفه وشفتاه .. ولا يرى الأب عادة شيئاً من هذا كله . ولا يتساءل الأب عادة ما هو المقصود من هذه المقارنة بينه وبين قطعة من اللحم ليست لها أية ملامح !

وتعلم الأم بالغريزة أن زوجها يريد أن يقوم بمهمة الزوج فقط أما هى فعليها أن تكون زوجة وأماً . ولذلك تحاول بمجهود هائل أن

تنقل الزوج إلى وظيفته الجديدة . وهى وظيفة الأب . وذلك بأن تشغله بالطفل أو بالأطفال . ومتاعب الطفل وأمراضه وضحكته ولعبته .. وإذا بالأب الذى لم يبذل أدنى مجهود فى أن يكون أباً . قد تحول بالتدريج إلى أب .. وأصبحت الأبوة نوعاً من الهواية . ولكن الأم تبذل جهداً آخر فى أن تجعله يتحول من الهواية إلى الاحتراف ..

ومن أب ينفعل عند كل طفل يولد ، أى أب يعمل بالقطعة . إلى أب موظف .. أب بالتعيين . وطريقة الأم هى أن تجعل الأطفال يتعلقون بأبيهم ويرتبطون به عند الأكل والنوم . بل إنها تقسو على أطفالها ليرموا أنفسهم فى حضن أبيهم ، فيقوم الأب فى هذه « المناورة » بدور رجل السلام ..

وكل المعارك التى تدور بين الأزواج عند ولادة طفل ليست إلا محاولة عنيفة من الزوجة أن تجعل زوجها أباً . وليس إلا إصراراً من الزوج أن يظل زوجاً . ولكن هذا الإصرار لا يلبث أن يلين أمام الكلمات التى تنتهى عادة بنون وألف — أى ابننا وطفلنا ووحيدنا وخلفتنا .. وهنا لا يملك الزوج إلا أن يكون أباً بالتعيين !



الهوسة الجماهيرية

التويست وكرة القدم وأم كلثوم والزار .. هى جميعاً عمليات غسل مخ صدمات كهربائية ، تدليك عقلى ونفسى .. غيبوبة عن الإحساس لتريحنا من الشعور اليومى بالتعب والتوتر النفسى .

وليس بالصدفة أن يقبل الناس فى العالم كله على الرقص المجنون .. على الجاز .. على الزار الحديث .. إن ضوضاء الموسيقى ترهق الأعصاب وحركات الالتواء العنيف الطويل ترهق الأجسام .. وبعد ذلك يسترخى راقص التويست وراقص الزار .. وهذا الاسترخاء يؤدى إلى الشعور بالارتياح .

وكثير من الذين يرقصون أو يذهبون إلى الزار ليستريحوا يدمنون الرقص ويدمنون الزار .. هذا الإدمان يضعف مفعول الرقص والزار ، ولذلك لم يكن غريباً أن يتجه الشبان فى أوربا وفى أمريكا إلى المخدرات..

فالمخدرات تشيع الاسترخاء الذى يعجز الرقص والزار عن تحقيقه ولهذا انتشرت المخدرات بين الشبان ، بين راقصى التويست وبين ضحايا الزار أيضاً !

وكرة القدم هى حماس جماهيرى صارخ .. وهذا الحماس الشديد يجعلنا متوترين . وهذا التوتر يهزنا باستمرار لكل لعبة وكل شوطة وكل هدف .. ويهزنا أيضاً إذا لم تكن هناك أهداف . فالمهم هو أن نهتز بعنف . والذى لا يتحمس إلى ناد رياضى تكون اهتزازاته وتوتراته

وصيحاته أضعف وأقل عنفاً ، ونحن حريصون على أن ننفعل بشدة ، ولذلك نختار أحد الأندية ونتحمس له .. نثور له ونثور عليه ، وسواء فاز النادى الذى نتحمس له أو لم يفز فإن الشحنة العاطفية لهذا النادى قد أرهقتنا .. ولكنها أراحتنا بعد ذلك .

وحفلات أم كلثوم أيضاً .. فالناس حريصون على مشاهدتها أكثر من أى وقت مضى .. السيدات يجدن فيها فرصة للظهور بفساتين وتسريحات جديدة .. والرجال يذهبون أيضاً وهم متحمسون لأم كلثوم .. وفى حماسهم لأم كلثوم نجدهم يتحمسون لألحان عبدالوهاب أو السنباطى أو بليغ حمدى .. وكل واحد يركز حماسه على ملحن معين .. وهذا التركيز يشعل فيه نار الحماس والتصفيق ، وفى هذه النار العاطفية الفنية تتطهر النفس من متاعب الحياة اليومية .

وكلما تعبت أعصابنا بحثنا عن « هوسة » جماهيرية لنغرق فيها عقولنا .. لنطفو بأجسامنا على بحر الحياة !



الموت الفرعونى :
حياة أخرى . !

الحياة مرحلتان : أن نعيش . وأن نعيش بعد الموت . أو بعبارة أخرى : هذه الحياة هى مرحلة الإعدادية والثانوية . والموت هو الجامعة .. أو بعبارة ثالثة : إن الإنسان فى هذه الحياة كمن يطارد بطة ، فيجرى وراءها ، ثم يجد نفسه فى أرض غريبة لم يرها من قبل .. هذه الأرض الغريبة هى الحياة بعد الموت .

هذا هو معنى الحياة بعد الموت عند الفراعنة . فهم يرون أن الحياة بعد الموت هى الحياة الحقيقية ، وليست حياتنا هذه إلا نوعاً من العمل الطيب لادخار الحسنات والأموال التى تنفعنا عندما نذهب إلى العالم الآخر ؛ ولذلك حرص الفراعنة على تحنيط الموتى فهم يخرمون الدماغ حتى يخرج منه المخ ثم يحنطونه ، ويخرمون البطن حتى تخرج منه الأحشاء ثم يحنطونها ويضعونها فى إناء إلى جوار الميت . وفى سبعين يوماً يتم تحنيط الميت بوضعه فى الصمغ وفى العسل وفى الأملاح والعطور وتجفيفه .. ثم صبغ أظافر الأرجل واليدين وتثبيت الأظافر بسلوك من الذهب .

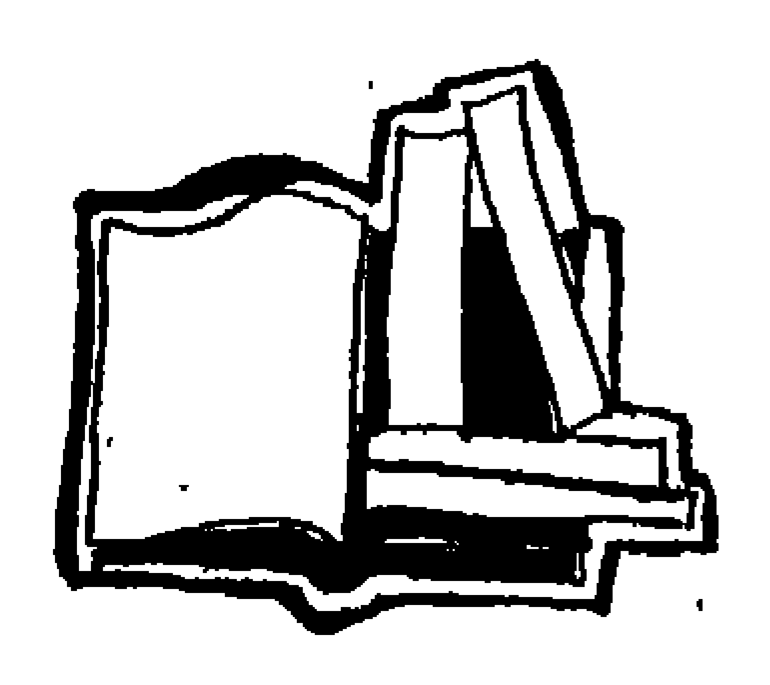
وحول قبر الميت يرسمون له خريطة الحياة الثانية . وتتحول جدران المقبرة إلى « بطاقة شخصية » يصفون فيها ملامح الميت وأعماله وما يحبه من الأكل والشرب وما قدم من حسنات ، ويشرحون له كيف يستعمل أدوات العمل والزينة .

وعندما تنكسر ذراع أو رجل أحد الموتى يضعون له أطرافاً صناعية . وكثيراً ما قام الملوك بنبش مقابر خصومهم من الموتى ، وشوهوا صورهم وفقأوا عيونهم . لماذا ؟ حتى يعيش هؤلاء مشوهين بعد الموت. والملكة حتشبسوت بعد أن ماتت قام زوجها الثانى وهو فى نفس الوقت ابن زوجها الأول من امرأة أخرى ، فحطم تماثيلها ، ومحا اسمها حتى إذا بعثت بعد ذلك كانت بلا اسم .. كانت فاقدة الذاكرة ، فلا تعرف أنها كانت ملكة أو خادمة ملكة !

ومنذ أشهر أعلن بعض الأطباء الإيطاليين أنهم عثروا على عقود ذهبية وماسية فى مومياء مصرية .

وقالوا إن هذه العقود كانت موجودة تحت اللفائف التى تحيط بجسم الميت .. ويظهر أن الفراعنة قد لجأوا إلى نفس الحيلة التى يلجأ إليها مهربو المخدرات الآن : أى إخفاء المخدرات فى أماكن من الجسم . والفراعنة يحتالون بذلك على اللصوص حتى لا يكونوا مفلسين يوم القيامة !

ومن المؤكد أن هؤلاء الملوك سيمدون أيديهم إلى الناس يوم « القيامة الفرعونية » بعد أن سرق منهم اللصوص والخواجات كل شيء !



البوصيرى أصدقهم

رجل طيب مؤمن ، كان عندى إحساس أن شيئاً سوف يحدث له . كان إذا تناول طعامه انفرد بنفسه فى انتظار ذلك الشيء .. وإذا نام ذهب إلى غرفة بعيدة وتمدد على الفراش وانتظر .. لم يكن ينتظر الموت ، وإنما كان عنده إحساس غريب بأن زائراً سوف يدق الباب ، وأن هذا الزائر من بلاد بعيدة ، وأن لديه رسالة خاصة .. ولكن من أين أتى بهذه الإحساسات ؟ لا يعرف . وإنما يجب عليه أن ينتظر وأن يكون نظيفاً طاهراً . ولم يحدث أحداً من الناس فى ذلك . وكان هذا الرجل نصف مشلول . وفى نومه رأى النبى ولمسه بيده الكريمة ، ونهض الرجل الصوفى ، هو الشيخ البوصيرى ، وهو شاعر مصرى ظريف أيضاً .

ويقول البوصيرى : إن الرسول ألقى عليه « بردة » أى ثوباً .. ووجد البوصيرى نفسه ينظم قصيدته الجميلة التى اسمها البردة فى ١٨٢ بيتاً ، ولم يكملها مرة واحدة ، وإنما توقف قبل نهايتها ويقول إنه رأى الرسول مرة أخرى فأكمل له أحد أبياتها ...

ولم تنتشر قصيدة فى مدح الرسول كما انتشرت « بردة » البوصيرى هذه . فالناس يقرءونها فى كل البلاد العربية ، فى الصباح والمساء ، ويتبركون بأبياتها وبتلاوتها ، وقد طبعت هذه القصيدة فى كل عواصم الشرق الأوسط ، وترجمت إلى كل اللغات ، وقلدها مئات الشعراء . وأشهر الذين قلدوا البوصيرى أمير الشعراء شوقى فى قصيدته المعروفة :

« نهج البردة » أى على نهج البردة — والتى تغنى أم كلثوم بعض أبياتها ولكن البوصيرى كان أكثر إيماناً ..

فالبوصيرى فى قصيدته يشكو من عذابه فى حب الرسول وأهل البيت ، ويطلب من الناس أن يعذروه .. فيقول :

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك ولو أنصفت لم تلم

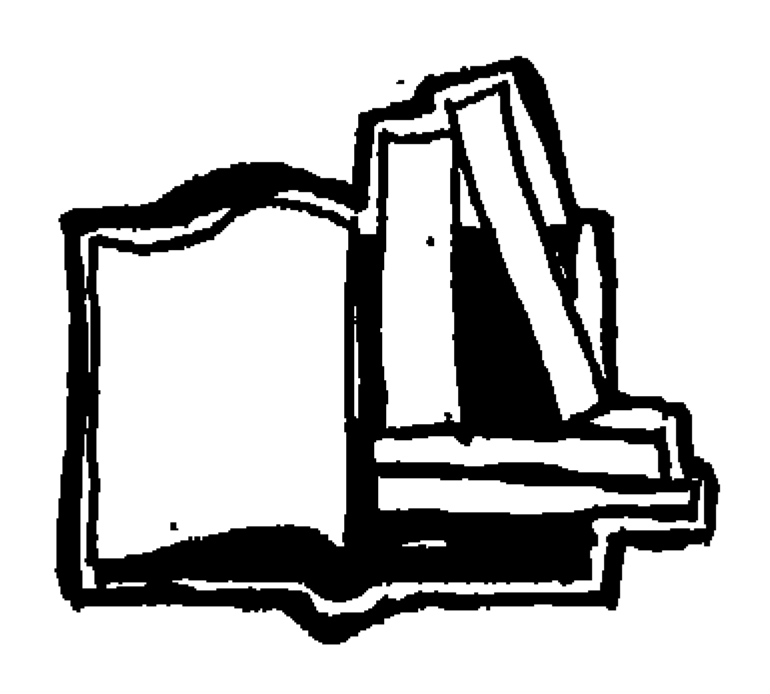
وقبل البوصيرى قال الشاعر ابن الفارض :

يا لائماً لا منى فى حبهم سفهاً
كف الملام فلو أحببت لم تلم

وبعد البوصيرى قال شوقى :

يا لائمى فى هواه والهوى قدر
لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

ولكن البوصيرى كان أصدق وأكثر إخلاصاً وأكثر شفافية ، وأكثر استغراقاً فى فنه حتى رأى الرسول فأنشدها .. لقد شفاه الإيمان ، وخلده الفن !



نحن والسياح ...

من هو السائح ؟

إنه زبون أجنبي اختار بلدنا ليستريح . ولذلك يجب أن نحرص على أن يستريح . في أثناء الراحة يجمع معلومات عن بلدنا . ونحن حريصون عليه وعلى راحته وعلى المعلومات التي يلتقطها عن بلدنا ليذيعها في بلاد أخرى . أي المطلوب هو أن يتحول السائح إلى صديق يتذكر مزايا بلادنا ويغفر لنا عيوبنا . ولا يوجد بلد في الدنيا خال من المزايا ومجرد من العيوب . فالمطلوب من السائح أن يمضغ لنا الزلط وألا يعد علينا الغلط . وهذا مطلب مستحيل ؛ لأننا أنفسنا لا نمضغ الزلط وإنما نلقى بالزلط على الأرض . ولأننا أيضاً نبالغ في أخطاء أنفسنا . فليس من السهل إرضاء كل الناس : المواطنين والسائحين . والناس لم يعد لديهم صبر . كل إنسان يريد — بسرعة — أن يصل إلى ما يريد ، أن ينصلح حاله وحال الدنيا كلها في أقصر وقت ممكن . وهذا مستحيل !

ولذلك أمامنا وقت طويل لإصلاح عيوبنا : فالسائح لن يرى بلادنا جنة تجري من تحتها الأنهار إلا بعد وقت طويل ، وهذا طبيعي .

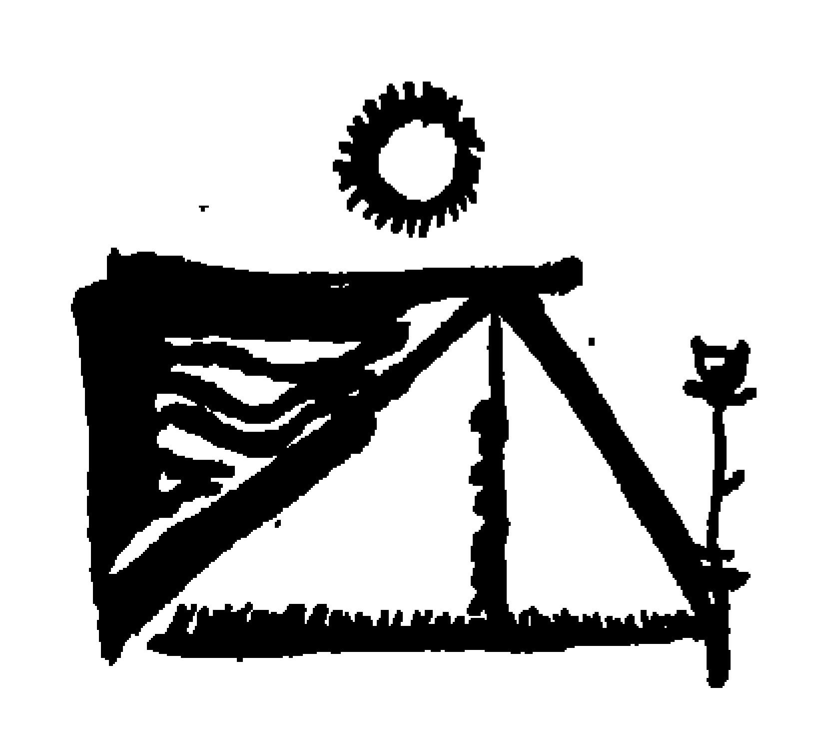
فعلى الرغم من حرصنا على أن نريح السائح ، فإننا حريصون على أن نريح المواطنين ، وحريصون على أن يتفرج السائح علينا ونحن نعمل على راحة أنفسنا : بالعمل واللهو .

ولكى نصلح عيوبنا ، أمام أنفسنا وأمام غيرنا ، نحن فى حاجة إلى زمن طويل . يجب أن نعرف الحجم الحقيقى لعيوبنا ، وأن نعلم كيف يمكن إصلاح العيوب ، فإذا أصلحناها يجب أن نتعلم كيف لا نعود إليها ...

مثلا : فى كثير من شوارع القاهرة طوب وزلط .. وحفر على جانبى الطريق . وإلى جوار الحفر انخلعت أعمدة النور . وهذا منظر مخيف — مخيف لنا — لأننا نخشى أن تقع عيون السياح الأجانب !

ولكن كيف يمكن أن نمد الأنابيب دون أن نحفر الأرض ؟ وكيف يمد السياح الأنابيب فى بلادهم ؟ كيف نبنى بيتاً جديداً دون أن يكون هناك تراب وزلط وضوضاء ؟ كيف نسوى الشوارع ونرصفها دون تعطيل لحركة المرور ؟

إن الخوف من السائحين لا يخيفنا ، لأننا نعمل فى بلادنا ما هو ضرورى وما هو طبيعى . وإذا لم نعجب السياح هذا العام فسوف نعجبهم فى الأعوام القادمة ..



الملاعب والشوارع

اللهم لا اعتراض على الكرة ولعب الكرة والاهتمام بها .. ولا اعتراض على أن الكرة قد أدت إلى الاهتمام بالأقاليم وأبناء الأقاليم ، والناس الطيبين الذين لم تسعدهم الظروف بأن يولدوا فى القاهرة ، ويكونوا من أبناء أعضاء أندية الأهلى والزمالك والترسانة ..

ولا اعتراض على أن يتعلم الناس الطاعة والنظام وحب القانون واحترام الحكام ، فى أثناء اللعب وفى أثناء مشاهدة المباريات ..

ولا يمكن أن يكون هناك اعتراض على أن يتعلم اللاعب من خلال التمرين والحرص على اللياقة : أن يعنى بصحته الجسمية والنفسية .

وطبعاً لا اعتراض على أن تلتقط الكرة عدداً كبيراً من الكتاب والنقاد الفنانين الذين يحولون مباريات كرة القدم إلى أعمال أدبية ممتعة ، وإلى أن تصبح الكتابة الكروية والرياضية عموماً ذات أسلوب خاص ولها تعبيرات جديدة سريعة .

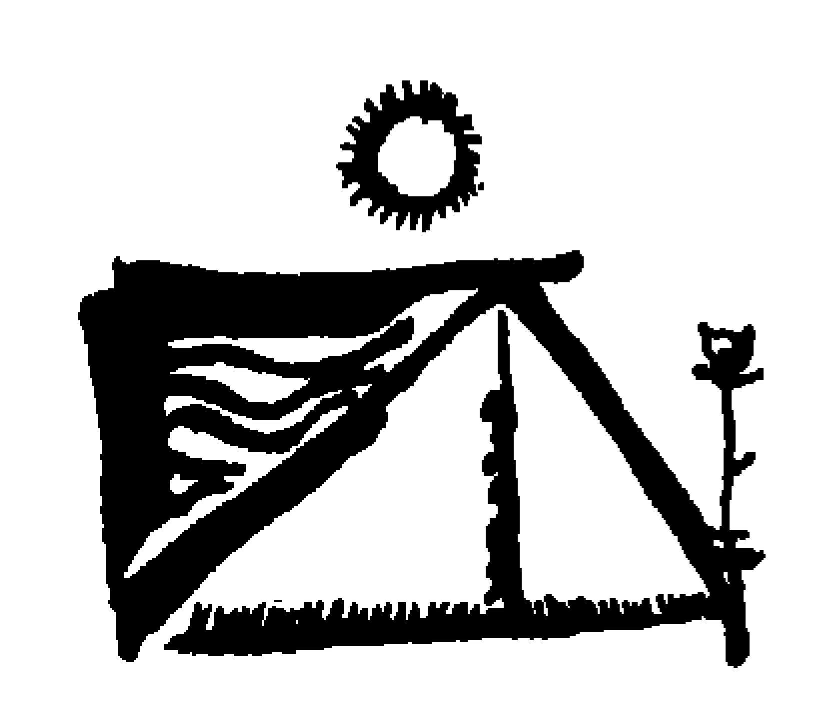
إن كرة القدم قد أكسبت الناس لاعبين ومتفرجين وكتاباً : دماء جديدة ومعارك غريبة ، مثيرة .

لا اعتراض على شيء من هذا كله . ولكنى أعترض على أن تتحول شوارع القاهرة إلى ملاعب لكرة القدم . والشوارع — كأية ملاعب — فيها خطوط للملعب . وبدلا من خشبات المرمى ، تمتلئ الشوارع بالطوب والزلط . ولأن اللعب يجرى ليلا ، فالطوب يجب أن يكون عالياً بارزاً ، ولأن كرة القدم تستغرق اللاعبين الصغار ، فإنهم لا يدرون

بالسيارات من ورائهم وأمامهم ؛ ولذلك كثيراً ما توقفت السيارات حتى تتفادى اللاعبين الذين استغرقتهم الرياضة الشعبية ، وكثيراً ما عجزنا عن تفادى اللاعبين . وهؤلاء اللاعبون الشباب لا يحملون معهم كل ليلة معالم الملعب . ولذلك يتركون الطوب والظلط فى مكانه . وهذ الطوب لا يتحرك — طبعاً ، وإنما تتحرك إليه السيارات وتتكسر بسببه . فالطوب هو الكرة العتيقة التى يجرى إليها الهدف كل يوم وكل ليلة !

ومن الغريب جداً أن نجد ملاعب كرة منصوبة ليلا ونهاراً إلى جوار محافظة القاهرة .. وأغرب من ذلك أن نجدها فى شارع الجلاء أمام مبنى المرور . إن احترامنا للشارع واللاعبين فى الشارع ورجل الشارع لا يمكن أن يذهب إلى أن ندوس الشارع وقوانين المرور والحركة فى الشارع .. ولا أن تصبح كرة القدم أسلوباً مهذباً للانتقام من كل صاحب سيارة يصطدم فى الليل بطوب الملاعب وزلطها .. ويظل صاحب السيارة المسكين يهلوس طول الليل ويحلم بقطع الغيار .

إننا يجب أن نعدل بين الشوارع والملاعب ! فالكرة للملاعب ، والمرور للشوارع !



أنواع من الناس . . .

هناك ثلاثة أنواع من الناس : واحد يريد أن يعيش . وواحد يريد أن يستفيد ، وواحد يريد أن يفيد !

والذى يعيش فقط هو مثل النباتات والحيوانات ، لا يسأل نفسه ما معنى هذه الحياة ؟ .. ما معنى حياتى ؟ .. إنه يريد أن يأكل ويشرب وينام فى أثناء النوم يجىء الأطفال ويتقدم فى السن ويموت . وهذا النوع من الناس ليست له مشكلة . ولذلك فهو لا يقرأ ولا تهمه القراءة . ولا يهمه أن يفكر فيه أحد ، لأنه لا يفكر فى أحد . ولهذا السبب سأكتفى بهذا الكلام عنه .. !

أما الذى يريد أن يستفيد من الحياة فهو ينظر إليها على أنها صفقة تجارية . وهو يصحو وينام على سؤال واحد : ما الذى كسبته اليوم ؟ ومن أجل المكسب فإنه يدوس الناس والقيم الإنسانية . فمثله الأعلى هو النجاح .. النجاح بأى ثمن . ولكى يحقق النجاح ينافس الآخرين . وعندما ينافسهم يكرههم ويحقد عليهم . والحقد يدفعه إلى الجريمة . والجريمة تكبر فتصبح حرباً .. تشنها دولة على دولة .. دولة تريد أن تبيع بالقوة وتكسب بالقوة . ومن أجل المكسب تحرق الزرع وتطحن الحيوانات .. وتدفن الناس .. وحيث توجد التجارة الجشعة توجد الطبقات . والحقد الطبقى . والاحتكارات .. والاستغلال والانهيارات العصبية . والصفحات السوداء فى تاريخ الإنسانية كتبها التجار بدماء الزبائن . . بدماء المستهلكين !

والنوع الثالث هو الذى يسأل نفسه دائماً : ما الذى أستطيع أن أضيفه لحياة الناس ؟ .. ما الذى أستطيع أن أعطيه ؟ .. إنه فنان يتذوق الحياة ويفهم معناها . ويحرص على أن يقدم للناس شيئاً ، يجعل لحياتهم معنى ، ويجعل للمعنى هدفاً ، ويجعل الطريق إلى الهدف مفروشاً بالحب والسلام والتعاون بين الناس . إن مثل هذا النوع من الناس يعطى راحته .. ويبذل حياته .. وكل الذين ساهموا فى إسعاد الإنسانية لا يمكن أن يكونوا تجاراً للحياة .. ولا يمكن أن يكون الاستغلال أسلوبهم .. ولا النجاح بالدماء شعارهم من أجل إسعاد البشرية!

وإذا كانت السعادة هى الغاية التى يريدها كل إنسان . فإن أحداً لا يعرف — بالضبط — ماذا تعنيه كلمة السعادة . إنها مثل الصحة — نحسها ولا نعرف ماهى .. إنها مثل الكهرباء نعرفها ولا نراها فالسعادة ليست برتقالة نقطفها ونقشرها ونأكلها بعد ذلك .. إنها مجموعة أشياء كثيرة معاً ..

وإذا بحثنا عن السعداء نجد أنهم هؤلاء الذين يغرسون شجرة ويبنون بيتاً ويؤلفون قصيدة .. هؤلاء الذين يملأون وقتهم بالعمل المفيد.. فالسعادة هى أن يجد الإنسان نفسه مشغولا بشىء مفيد..وأن يجد هذا الانشغال لذيذاً !

مشكلة الجيل الجديد ...

مشكلة الجيل الجديد — تعبير تراه كثيراً فى كل صحف ومجلات العالم . ومعنى ذلك أن للجيل الجديد مشكلة أو أنه هو مشكلة الدنيا كلها .. أى أن هذه المشكلة « ظاهرة » اجتماعية ونفسية واقتصادية . وتكرار هذا التعبير معناه أن الموقف لم يتغير ، وأنه لا بد من حل ، وأن هذا الحل مطلوب بسرعة .. فهذه الأجيال الجديدة هى التى سوف تتسلم التركة الهائلة التى صنعها الآباء والأجداد بالعرق والدم ، أو بالعرق بلا دم ، أو بالدم بلا عرق .. وتعبير « الجيل الجديد » يبرز جداً كلما وقعت جريمة بطلها شاب . كأن الشبان وحدهم هم الذين يرتكبون الجرائم .. فإذا ارتكبها رجل عجوز لا تعد جريمة .. كأن تشتعل حرب عدوانية على شعب آمن ، ويروح ضحيتها ألوف من الشبان ، لا تكون هذه الحرب جريمة — فيتنام مثلا !

ومع ذلك فالجيل الجديد مشكلة . وهى ليست مشكلة هذا العصر بالذات ، وإنما مشكلة كل عصر ، فى كل عصر جيل جديد وجيل قديم ، والذى يصف الجيل الجديد بأنه مشكلة إنما هو الجيل القديم !

ومشكلة الجيل الجديد الآن أنه لا يريد أن يرتبط .. لا يريد أن يكون مسئولا .. وإنما يريد أن يكون حلقة بلا سلسلة ، وأن يقف وحده ويترك المسرح لغيره ، ثم يخرج من منتصف المسرحية ، أو ينام فى أثناء التمثيل !

وانتشار المخدرات بين الشبان فى أمريكا – مثلا – ليس إلا نوعاً من الهرب من مواجهة مجتمع يطحنه طحناً ويتجاهله تماماً . فالمثل الأعلى فى المجتمع الأمريكى ، وكل المجتمعات الرأسمالية هو النجاح بأى ثمن ! النجاح بالغش وبالقتل .. ولا يهم أبداً أن يكون المواطن هو الضحية .. والمواطن هو المستهلك الذى تبيعه وتشتريه وتحييه وتميته شركات الطعام والشراب والدواء والسلاح !

ولكى يرتبط الشبان ويصبحوا حلقات فى سلسلة واحدة لابد أن تكون لهم قضية .. وأن تكون لبلادهم قضية إنسانية . ولابد من توعيتهم وتبصيرهم بمشاكل بلدهم ومشاكل العالم . ولابد من تجنيدهم من أجل هدف إنسانى ولابد من « تهديف » أفكارهم وأحلامهم . ولا خوف من الهدف ووضوحه وقوته مادام من أجل الحياة واستمرار الحياة الكريمة .

ولذلك يتضاءل باستمرار عدد الشبان المتفرجين فى بلادنا .. لأننا جميعاً أصحاب قضية إنسانية وأننا دعاتها وحماتها ..



جرائم بحسن نية . . .

أصبحت « الخادمات » فى البيوت مشكلة — وقبل أن تغضب لاستخدامى كلمة « الخادمات » أبادر فأقول بأننا جميعاً نخدم بعضنا بعضاً .. فأنا خادمك وأنت خادمى .. وكلنا نخدم مصالحنا فى إطار الدولة !

وقد سمعت فى مدى شهر عن عشرات المشاحنات والمشاجرات بين خادمات البيوت وسيدات البيوت . وهى مشكلة ليس من السهل حلها الآن . فسوف تكون هناك خادمات فى البيوت . ولا يغير من هذا الوضع أن تعدل كل النساء عن العمل خارج البيت إلى البقاء فى البيت . فسيدة البيت لا تستطيع وحدها أن تقوم بكل العمل مثل صابون أومو !

وحتى فى البلاد التى استخدمت آلات الطبخ والنظافة الحديثة لم تستطع أن تستغنى عن الخادمة أو مربية الأطفال أو مديرة البيت — إذن سوف تبقى هناك خادمات فى البيوت .

وقد سبق أن شكوت من الأفلام التى يعرضها التليفزيون والتى تقوم فيها بدور الخادمة أجمل فتيات الشاشة عندنا ، وتقوم بدور سيدة البيت نساء أقل جمالا . وينتهى الفيلم نهايته الطبيعية المعروفة من أول لحظة : بأن يتزوج سيد البيت أجمل من فى البيت : الخادمة !

والمطبات التى تقع فيها سيدات البيوت عادة هى أن يشاهدن هذه الأفلام مع خادماتهن !!

وهذه الأفلام تستهوى عدداً كبيراً من الناس .. عدداً كبيراً

من اللاتى يحلمن بزواج الرجل الغنى .. أو بالانتصار على المرأة أم العيال .. كما أن هذه الأفلام تشعل نار الحقد الطبقى وتغرس فى نفوس الناس موقفاً شاذاً وتوهمهم بأن الموقف الطبيعى : أن يكون الزواج خطفاً .. خطف الخادمة لسيدها وطرد سيدتها وأولادها !

وسوف يحدث مثل هذا وأكثر من هذا .. فالكراهية والحقد والطمع لا تاريخ لها .. فقد ولدت وكبرت وتطورت مع الإنسان نفسه .

ولكن ما الذى يجب أن نفعله نحن الذين نحمل مسئولية التوجيه والتوعية ؟ هل ننافق كل من يعمل عند أحد ؟ هل نظل نؤكد للخادم أنه على حق وسيده غلطان ؟ هل نؤكد للساكن أنه على حق والمالك غلطان ؟ هل نؤكد للموظف أنه على حق دائماً ورئيسه غلطان ؟

إن التأكيد على هذه المعانى تضليل وتخريب للقيم الاجتماعية والأخلاقية . والفن ليس إلا نوعاً من تطهير النفوس وإمتاعها بكل معنى جميل وقيم صحية. والفنان ليس إلا طبيباً لأمراض النفوس والأجسام والعلاقات الاجتماعية ..

إن معظم الحوادث التى سمعت عنها . وأصدقها . كانت تهوراً من الخادمات .. لم تكن لديهن أية أسباب وجيهة .. وإنما لديهن عبارات سمعتها فى فيلم . أو قرأتها فى قصة . وكذلك كل موظف اعتدى على رئيسه لم يكن إلا ضحية لوجبة دسمة من النفاق الذى طبخه بعض المؤلفين بحسن نية — وما أكثر الجرائم التى يرتكبها الناس بحسن نية !

الروح الفردية . . .

يظهر أن المدارس هى التى أفسدت الملاعب — وليس العكس .

فالمدرسة لا تقوى روح الجماعة أو روح الفريق ، فلا توجد بها مشاريع جماعية ، ولا أعمال يشترك فيها الطلبة بعضهم مع بعض وإنما كل الأعمال فردية . فالذى يذاكر لنفسه ولوحده ، والذى يرسب أو ينجح لنفسه .

وصدى هذه الروح الفردية واضح جداً فى ملاعب الكرة .

وفى المدرسة نجد أن النجاح هو الغاية من كل شىء ، فالطالب يذاكر لكى ينجح ، ويغش لكى ينجح .. والطريقة المؤكدة لكى ينجح هى أن « يصم » . أن يحفظ ما فى الكتب . وما فى الكتب مكتوب بأسلوب قديم جاف . والمدارس عندنا يخرج منها الطالب « متعلماً » وليس مثقفاً . أى أنه ذاكر علوماً محددة و لم يضف إليها شيئاً من عنده .

فعندنا طلبة متعلمون . وليسوا مثقفين . وكذلك لاعب الكرة يلعب لكى يحصل على أهداف . واللاعب الذى لا يحصل على أهداف كأنه لم يلعب .. والمباراة التى ليست فى الكأس أو الدورى لا يهتم بها أحد من اللاعبين أو من المتفرجين — تماماً كطلبة المدارس . ويجب أن يكون الدافع الأساسى له هو الحصول على الدرجات ، والدرجات هى طريق النجاح . والنجاح هو كل شىء .

ولاعب الكرة لا يحسن أى شيء آخر .. لاعب الكرة يجب أن يكون فى غاية اللياقة البدنية ، واللياقة هى المرونة والسرعة وطول النفس . وهذه اللياقة لا يمكن أن تتحقق عن طريق لعب الكرة وحدها ، وإنما عن طريق ألعاب أخرى كثيرة : المشى والجرى والألعاب السويدية والسباحة .. والراحة أيضاً ! فاللاعب يجب أن يعرف كيف يستريح من اللعب ، والطالب يجب أن يعرف كيف يستريح من المذاكرة .

ولاعب الكرة الذى لا يعرف إلا الكرة ، مثل الطالب الذى لا يعرف إلا دروسه . فهو إنسان متعلم .. ولكنه ليس مثقفاً . ولاعب الكرة فقط ، هو صاحب جسم « متعلم » ولكن لاعب الكرة الذى يحسن عدداً كثيراً من الألعاب هو صاحب جسم « مثقف » .

وكما يذاكر الطلبة فى آخر لحظة ، وهذه هى القاعدة المؤلمة ، فكذلك لاعبو كرة القدم يذاكرون الكرة فى الأيام والساعات السابقة على المباريات الهامة

والطالب الذى يغش هو لاعب غشاش أيضاً ..

والطالب الذى يحترم القانون هو لاعب أيضاً يحترم القانون .

والطالب الذى يخفق مرة ثم يحاول من جديد هو أيضاً لاعب صبور .. يحاول إصابة الهدف مرة بعد مرة . فهو لاعب عنده روح رياضية ..

فى المدرسة تولد أو تموت روح الرياضة : اللياقة والتسامح والأمانة وتقديس القانون !

فإذا تغيرت الروح فى المدرسة ، تغيرت الروح فى الملاعب !

رقم الإيداع	١٩٧٨/٥٠٠٢
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٥١٥ - ٤

١/٧٨/٣٠١

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)